

ضل حيطة

مقالات

حنان الجوهري

دار الشروق

ضل حيطة

ضل حيطة

حنان الجوهري

تصميم الغلاف: وليد طاهر

الطبعة الأولى ٢٠١٥

تصنيف الكتاب: أدب / مقالات

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
www.shorouk.com

رقم الإيداع ٢٢٦٦٢/ ٢٠١٤
ISBN 978-977-09-3320-6

حنان الجوهري

ضحيطة

دار الشروق

إهــــداء

إلى أحمد الدريني الراعي الأول لكل كلمة كُتبت هنا.. ظل يطاردني منذ أكثر من عام لأعاود الكتابة .. يراجع ما أكتبه ، يعيده إليَّ مشجعًا.. يصيبني الكسل كثيرًا فيزيدني إلحاحا و إفاقة..

إلى فريدة.. بنتي و حبيبتي. توأمي الملتصق، التي لا تهدأ إلا بعد أن «تقعد في بُقي» .. شكرا عشان سبتيني أكتب شوية من غير ما تتفرجي على (سنو وايت) اللي على اللاب توب بتاعي.

إلى أحمد سمير وأحمد فؤاد الدين وطلال فيصل.. شكرا لدعمكم و صبركم و طولة بالكم و عدم حدفكم ليَّ باللي في إيديكم لما اتحول - أثناء لقاءاتنا لكائن كئيب و محبط و أكف عن الكتابة.

إلى أمي اللي علمتني لحد الجامعة، بالرغم من إصرار سيدات العائلة بأن «آخد دبلوم و اتجوز زيّ كل البنات» ، إلى تحية بنت سكينة.. اللي علمتني برة الجامعة أن الطموح مالوش حدود.

إلى أستاذي إبراهيم عيسى .. و خالد كساب أول ناس سابوني أكتب براحتي في جريدة الدستور .. سأظل أتذكرك أستاذي وأنت تقول لي «إنتِ موهوبة يا بت» .. شكرا لكما من قلبي.

حنـان

المحتويات

اسمي حنان بنت تحية

على عكس محمود درويش، أنا لا أحن إلى خبز أمي.. فعندما أتذكر أيامي مع أمي فلا أتذكر العيش اللي كانت بتخليني أعجنهولها صاغرة، ولا ريحته الجميلة وهو طالع من الفرن.. أنا فقط أتذكر حاجتين: ثقتها فيّ، وده اللي خلاني جدعة في الحياة وبعرف أتحمل المسئولية، وأنواع العقاب المختلفة الألوان بدءًا من الرمي بالأطباق أو الأزايز (اللي كان بيبجي في إيدها ـ الله يمسيها بالخير)، انتهاءً بالشباشب الطائرة.. لذا أنا أحن إلى شبشب أمي

أنا الآن أم، وكثيرًا ما أود أحدف فريدة بما تشتهيه نفسي لكنني أتماسك.. لا أريد أن تتحول وسيلة عقابها إلى وجع جسدي، فأنا أفعل بها ما هو أسوأ: أعاقبها نفسيًّا.. أخاصمها أو أحرمها من حاجة حلوة أو أخليها تلم لعبها.. أحيانًا أجدني أقترب من أسلوب أمي.. النرفزة والنكد الخالص لوجه الله، والأفورة والحنية المباغتة غير المتوقعة في مواقف لا يفترض فيها الحنية.. غريبة أمي وأنا أغرب.

أمي ماكانتش بتخوّفني من الضلمة، وكذلك أفعل أنا مع فريدة.. تدخل معايا المطبخ الضلمة وتقولي أهو مفيش حرامي ولا عفريت، وكانت بتقولي كده على البني آدمين.. متخافيش من حد، جمدي قلبك، ماتأذيش حد، ولو حد أذاكي أقفي له، تمدني بكلمة «أخدان الحق صنعة».. أقول لفريدة في أحد الأيام: «ماتخليش حد يضربك.. لو جه يضربك زقيه بعيد عنك واجري قولي للميس، وبرضو متضربيش حد حرام» وأتذكر أمي.. أنظر في المرآة أو في صوري الحديثة أجدني أفعل حركة ما بيدي كما تفعل هي في معظم صورها.. بتُّ أشبهك يا أمي كثيرًا

أحاول كثيرًا أن أتلاشى أخطاء أمي، خصوصًا فيما يتعلق بحياتي العاطفية، فكنت دايمًا بروح أقولها على كل حاجة وكانت بتسمع تسمع وتنصحني، بس أول ما نتخاصم ربنا ما يوريكم من معايرة بالفشل في علاقة انقضت.. تخليني أقسم جوايا ميت يمين «والله ما قايلالك حاجة تاني يا تحية»، وأول ما أحب، أجري أقولها تاني زي العبيطة

مشهد ليلي: فريدة تيجي تنام جنبي وباصة للسقف

فريدة: ماما

أنا: همممم

فريدة (بأسى): مش هكلم بودي تاني

أنا: ليه؟

فريدة: عشان مش بيرضى يلعب معايا وبيلعب مع كنزي

أنـا: خلاص خاصميه، ولو جه يلعب معاكي غلّسـي عليه وسـيبيه يتحايل شوية وبعدين ابقي العبي معاه.

فريدة: ماشي.. هننام بقى؟

فريـدة بتحكيلـي زي مـا كنـت بحكي لماما، بس أنا مـش هذلها، ومسـتنية اليوم اللي هتيجي تقولي فيه إن حبيبها (اللي هبقى أنا متأكدة إنه بيحبها فعلًا) باسها أول بوسة.

مـش هعمل زي ماما ما كانـت بتعايرني إن مناخيـري طويلة، مش هقولهـا بُقك واسـع يا فريـدة، هقولها ضحكتك حلـوة.. مش هخاف عليهـا مـن الرياضـة زي ما أمـي مرضيتـش توديني مدرسـة كاراتيه، وهقدملهـا في مدرسـة كرة عشـان عايزة تلعب كـرة زي الصبيان اللي في الشارع.. مش هخليها تلبس الحجاب حتى لو كانت عاوزة إلا لما تكبـر وتفهـم هي عاوزة إيه.. مش هدخّلها مدارس إنجليش لانجويش فري بسـت سـكولز.. هخليها تقرا وتسـمع مزيكا وتتفـرج على أفلام وتسـافر وتشـوف الناس.. عشـان تفضل شـبهي وشـبه أمـي.. بغض النظر عن الشباشـب والتسـييح اللي كنتي بتعمليه «كل سنة وإنتي طيبة يا ماما».

الستات مبسوطة.. عمرها ما كانت!

(٢)

أجلس وأراقب ابنتي بينما تتسلق «الزحليقة» الهوائية، ويجلس إلى جواري سيدتان ترقبان أطفالهما أيضًا.. شعبيتان ترتديان عباءتين سوداوين، بينما تلتقط أذني: «وإيه يعني أما يتجوز عليكي؟» تصدمني الجملة وطريقة إلقائها على الأخرى التي سيتزوج زوجها عليها.. أحاول أن أفهم العلاقة بين الاثنتين فلا إحداهن كبيرة كفاية لتكون أم الثانية أو حتى حماتها - والنبي لو حماتي قالت لي كده لاسيب لها ابنها وامشي - أحاول أن أفهم أكثر فلا أصل إلا إلى أن إحداهن لا ترى غضاضة في أن يتزوج زوج الأخرى عليها.. تعيد الجملة ثانية: «يا اختي سيبيه يتجوز.. بلا نيلة».

الغريب أنها لم ترد.. هل تتعجب من صديقتها؟ أم مستسلمة؟

(٢)

تحكي لي أمي عن وفاء زوجة عمر السواق، عندها ٢٢ سنة وطفلين وهمّ عظيم ورثته من عيشتها القصيرة مع زوجها، فهو دائم الشكوى

منهـا ويهددهـا بالزواج عليها لأنهـا «رفيعة جدًّا» وغير مرضية جنسـيًّا لـه، تنصحها أمي بالذهـاب إلى طبيب تغذية.. في زيـارة أخرى لأمي تخبرني: «راحت يا بنتي والدكتور قالها لازم دوا معين بـ ٣٢٠ جنيه في الشهر، ده غير نظام أكل معين فاكهة وشيكولاتات كتير وعسل نحل.. لا عارفه تاخد الدوا ولا تتغذى كويس وهو صحته زى الفل ووشـه قد كده ومش عايز يصرف على علاجها ولسه بيهددها إنه يتجوز عليها».

(٣)

لماذا تثـار من حولي أحاديـث تهديـد الأزواج لزوجاتهم بالزيجة الثانية مؤخرًا؟

(٤)

صديقـة أخـرى متزوجـة منـذ ٣ أعـوام وبسـبب الحمـل مرتيـن والرضاعة والسـلوك الغذائي الخطأ زاد وزنها ٣٠ كيلوغرامًا.. وأيضًا البيه بيعايرها بوزنها ويهددها بأنه هيتجوز عليها، وإن فكرت بالذهاب إلى جيم لتمارس الرياضة فستضيع وقت بيتها.. وأولادها أولى بها.. وإذا طالبت بشراء جهاز رياضى فهو «غالي والبيت أولى.. وعلى فكرة إنـتِ تخنتـي قوي ولو ما خدتيش بالك من وزنـك هاتجوز عليكي».. مع العلم أنه هو نفسه زاد وزنه وأصبح له كرش مثل صلاح منصور في فيلم الزوجة الثانية.

(٥)

«عمر الناس ما كانت مبسـوطة»، لنغير العبارة لتصبح.. أممممم «عمر الستات ما كانت مبسوطة».

(٦)

هويدا تعمل منذ ١١ سنة خادمة في البيوت تخبرني أنها هي التي تنفق على البيت وعلى أولادها الثلاثة وتعليمهم، بل وتنفق على «مزاج» زوجها، فالبيه بيعز الحشيش وبيكره ينزل يشتغل بحجة إن ما فيش شغل أو إنه بقى يتعب وصحته مش زي زمان.

(٧)

«وصلت نسبة المرأة المعيلة في مصر إلى ٣٥٪ معظمهن يعملن في قطاع غير رسمي، يفتقدن التأمينات والتعويضات والرعاية الصحية، ومن الملحوظ تدني نسب تمثيل المرأة في مواقع القيادة وصنع القرار مما يحد من إشراكها في رسم مستقبل هذا الوطن». جيمس راولى المنسق المقيم للأمم المتحدة في مصر.

بينما تؤكد أمي: «ستات كتير شغالين على عيالهم وأجوازهم، يمكن تلتين الستات اللي أعرفه».

(٨)

إذن فالمرأة المعيلة غير سعيدة والتي يعولها زوجها يتحكم في طلباتها الخاصة بل أحيانا في شراء الدواء لها، وبالتالي فهي غير سعيدة وكذلك لا المرأة النحيلة ترضيه، ولا هي سعيدة، ولا السمينة ترضيه ولا هي أيضًا سعيدة.

ماذا نفعل لنرضيكم؟ بل السؤال الأكثر واقعية: ماذا تفعل صديقتي هويدا ووفاء وسيدات الزحليقة ليرضين أنفسهن؟

(٩)

«الستات مبسوطة.. عمرها ما كانت كده».

(١٠)

إذا كان يريـد أن يتـزوج عليـك بـ «كرشـه» فدعيه يفعلهـا، إذا كان يراكِ غيـر جميلة ولا جديرة به فدعيه يراكِ هكذا.. المهم فيما تفكرين به تجاه نفسـك، صورتك أمام نفسـك أهم.. هويدا واللي زيّها سـتات قويات جميلات قادرات على الاسـتمرار في العطاء من أجل أبنائهن، ولكن يفتقدن الثقة في أنفسـهن أمام أزواجهن.. ولكن إذا كان زوجها «عويـل» كمـا يقـال عليه في الأوسـاط الشـعبية، فمـا أهميـة رأيه في مظهرهـا؟ وإذا كان يبخل عليها بثمن الدواء فليس من حقه أن يهددها بالزواج عليها فهو مقصر..!

ليس المهم أن تعرف النسـاء أو البنـات قيمتهن عند الطرف الآخر بـل أن يعرفـن قيمة أنفسـهن أمـام أنفسـهن.. فالمرأة جميلـة وجديرة بالحياة طالما هي قوية وتعطي.

(١١)

الآن فقـط أفهـم غرابة جملـة «ما تسـيبيه يتجوز» التـي قالتها ذات العباءة السـوداء لصديقتها الأخرى.. أدرك ما وراءها من هدف «تكبير الدماغ» والاستمتاع بعيدًا عن أفعال « الموكوس».

نظرية: الرجال من كوكب الكلاب والنساء من كوكب الزهرة!

(١)

حسب الأسطورة القديمة فإن الأحباء كل «كابل» كان ملتصقًا التصاق التوأم ثم حدثت مصيبة كونية ما جعلت كل جسد متحاب انقسم إلى جسدين، وللمزيد من المأساة تفرقت بهم السبل، وقالك كمان إن السعداء هم فقط من وجدوا نصفهم الآخر وإن التعساء لا يزالوا يبحثون.

شعبيًّا ستجد تعريف أصل النشأة ولقاء الحبيب في: «كل فولة ولها كيّال» وإرجاع شدة التشابة إلى: « فولة واتقسمت نصين» ..

(٢)

نتربّى على أن الكلاب مذكرة دائمًا، كذلك الحمار والحصان والجمل، بينما القطط أنثى دائمًا، وكذلك البطة والأوزة والفراشة والغزال. دائمًا نقول: «حمار وليس حمارة ونقول فراشة وليس

فـراش» فهل في ذلك حكمة عزيزتي المرأة؟ بالتأكيد، انظري لصفات الحيوانـات المرتبطة بالرجل وصفـات الحيوانـات المرتبطة بالمرأة، أقصد صفاتها الشـعبية وليسـت صفات قناة ناشـيونال جيوجرافيك.. فالمسميات مستمدة من التراث الشعبي لذا لنفك شفراتها شعبيًّا .

الكلب والحمار يعتبران شتيمة والحصان والجمل يرمزان للتحمل والقوة أي أنّ الرجل غبي شهواني لكنه قوي يتحمل أي ضغط.. قشدة!

القطة مستأنسة لطيفة - تتناسى بتاكل وتنكر - البطة والأوزة جميلة القوام خاصة جزءها السـفلي، والفراشة خفيفة مرحة، والغزال سريعة ذات قوام رشيق أي أنّ الأنثى بالترجمة الشعبية: حلوة وتتأكل.. فريسة لنا.. قشدة أيضا.

(٣)

فـي مقدمة كتـاب «الرجال من المريخ والنسـاء من الزهرة» يشـير المؤلـف جـون جراي أنـه قديمًـا: كان الرجال جالسـين فـي كوكبهم يراقبون الكواكب الأخرى بتليسكوباتهم وعندما شاهدوا نساء كوكب الزهـرة بحلاوتهن وقعوا في حبهن، واخترعوا سفنًا فضائية وتزوجوا من نساء الزهرة ثم اصطحبوهن إلى كوكب الأرض، ثم فقدوا الذاكرة عـن كيفية لقائهن وعن أصلهـن ومن أين أتوا؟! ولهذا لم يفهموا لماذا هم مختلفون ولا يتفقون أبدًا.. على الرغم من وجود الحب؟!

هذه نظريـة المؤلف في كتابه بينما نظريتي أنـا: الرجال من كوكب الكلاب والنساء من كوكب القطط!

عايزين تصدقوا راجل بتاع تنمية بشرية وتكدبوني أنا!

(٤)

في عالم الموضة يقال على مشية عارضة الأزياء: مشية القطة/ كات ووك، ما حدش قال دوج ووك !

(٥)

تنظر فريدة إلى قط صديقتي ثم تقول لي: «هي اسمها إيه يا ماما؟» فترد صديقتي: «اسمه فوفو.. ده ولد»، تنزعج فريدة «إزاي؟؟ لا دي قطة.. أهي.. قوووطاااة»، تمد مخارج الحروف لتؤكد لنا أننا أغبياء مش فاهمين أن القطة بتبقى قطة بنت.

فيما بعد أحاول كثيرًا أن أؤكد لها أنه يوجد في الحياة مؤنث ومذكر لكل حيوان.. «دي كلبة ودي خروفة» تنظر لي وكأنها تنتظر مني كلمة «هيييه ضحكت عليكي» وكأني كنت أمازحها.

(٦)

سينمائيًّا أيضًا تستخدم كلمة قطة للإشارة إلى فتاة، راجع «يا قطة» بأداء عادل أدهم في فيلم «حافية على جسر الذهب» لميرفت أمين، بينما كلب استخدمت كثيرًا كشتيمة لرجل ما والتي - الشتائم - كانت محظورة تمامًا في السينما، وعندما قالتها فاتن حمامة نموذج الفنانة المثالية المحترمة لمحمود ياسين في فيلم «الخيط الرفيع»، تلقت انتقادات كثيرة على لفظة «يا ابن الكلب» التي تفوهت بها.. الآن يتم استخدام ألفاظ كثيرة أخفّها وطأةً: « كلب» .

(٧)

في كتـاب جون جراي وفي غيـر الكتاب وبين الأوسـاط الرجالي ينشـرون عـن السـيدات والفتيـات أنهـن صعبـات الإرضـاء والفهم، ينشـرون: «احنا ما بنفهمش السـتات»، أو «صعب ترضي سـت لأنك عمـرك ما هتفهمها»، دي كلها إشـاعات الرجالة نشـروها عن نفسـهم عشـان ما حـدش يطالبهم بأنهم يعملـوا اللي يرضينـا ويريحنا.. كلهم عارفيـن إيه اللي احنا عاوزينه وعارفين ازاي يريحونا.. بس بيسـتهبلوا عشان ما يعملوش حاجة.

لمّـا الأم أو الزوجة تسـأل ابنها أو جوزها: «تحـب تاكل إيه؟»، إيه الصعوبة اللي في أم السـؤال عشـان يرد بـ «أي حاجة» ما يقترح اسـم أكلة نفسـه فيها.. هل هو كده بيريحها يعنـي وبيخليها تختار براحتها؟ هي لو كانت عايزة تختار براحتها ما كنتش سـألتك.. ويا سلام بقى أمّا تقولك «هنعمل سمك»، فيكون ردك «ما بلاش سمك النهاردة».. احنا اللي متعبين فعلًا تصدقوا.. واحنا اللي صعب التعامل معانا.

(٨)

فـي كتـاب «الرجـال مـن المريـخ ..» جـراي دائمًـا يؤكـد وجود اختلافـات ويحاول مسـاعدة الأزواج في معرفة كيفية التعامل مع هذة الفـروق.. وذكـر أنّ أهـم هذه الفروق أن الرجل لا يحسـن الاسـتماع للمرأة، وأكثر شـكوى من الرجال هي المحاولة الدائمة لتغيير الرجل، فبالنسبة للمرأة هي لا تريد حلولًا إنما فقط التعاطف، والرجل لا يفهم أنّ طبيعة المرأة حبها للمساعدة وتقديم النصح وليس انتقاده.

فـي نظريتـي إن الرجال من كوكـب الكلاب والستات من كوكب القطط: الرجل شهواني وأناني- يخفي عظمته ليأكلها وحيدًا، متباهيًا- يهوى هزّ ذيله أو اللعب بذيله - يحب الصوت العالي «جعجاع» يمشي في جماعات- بيسـهر بالليل على القهـوة مع الصيّع صحابه - مخيف ليلًا - راجعي نواياه الجنسية ليلًا.

(٩)

لا أقصد مطلقًا الإساءة للرجال غير المتحرشين والأنانيين ولكن..

فـي إحدى عربات المتـرو ونتيجة لتلاحم البشـر وقربهم المتفاني الحميمي، أسـتمع دون قصـد لفتـاة تتحدث فـي الهاتـف: «هو انت ما فيـش فـي دماغك غير الكلام السـافل ده.. تنام تتكلـم فيه وتصحى تتكلم فيه؟».

(١٠)

الست من كوكب القطط فهي تظل ترعى أطفالها وتطعمهم، رشيقة راقب مشـيتها وقفزاتها، رقيقـة تموء بلطف في حالـة احتياج طعام أو دفء أو حتـى جنـس.. علـى عكس ما يقـال عنهـا فهي وفيـة تمامًا.. عمرك شـفت قطـة بتطلب الطلاق من صاحبها؟ هـي فقط هتطفش لو كان بيضربها أو عياله رخمين بيولعوا في ديلها بالكبريت.

الحقيقة المستخبية خلف أغنية هو وهي!

(١)

علـى غير المتبع أجدني في فترة الـ «آنسـة »أي قبل الزواج أنجذب أكثر لأغنية «هو وهيّ»، على الرغم من أن أغنية «ما تحسـبوش يا بنات إن الجواز راحة » كانت هي الأكثر واقعية لجيلين - تقريبًا - من الفتيات ينتظـرن العريس ويحلمـن ببيت الزوجية؛ لأنه بالنسـبة لي لم يكن أبدًا «تعب الحبيب راحة » والتي تقال في نهاية كل كوبليه كمسكن للبنات، فبالرغم من كل تعبك - إحنا واقعيين أهه - لكن تعبك ده هيبقى عشان حبيبـك يـا توتة، أغنية الراحلين أحمد زكي وسـعاد حسـني، وحلقات المسلسـل بالنسـبة لي كانـت مؤشـرًا واقعيًّا لما سـتكون عليـه حياتي الزوجية، فحسب الأغنية ستكون نقارًا وصراعًا على الأولوية ومطالب المسـاواة، وهو ما وجدته بعد الزواج جزءًا من الواقع، فالواقع كان في مستوى «قارئة الفنجان» مسدود مسدود يا أختي.

(٢)

«هو وهيّ »ثم لأ «هيّ وهو » صراع بينهما على من أولًا، مَنْ أهم؟

يقول: «الأول هو ده سيد البيت»، فتؤكد هي برقة ودلال «الأولى هيّ ده الأتيكيت».. بعيدًا عن «الأتيكيت» فأنا تربيت دائما على أن «الست عامود البيت» وأن «الأم تعشش والأب يطفش»، وهي أمثال واقعية بالفعل، فكم من أم تصرف عمرها كله على تربية الأولاد والإنفاق عليهم! بينما إذا عمل الأب خيرًا وبركة وإن توقف عن العمل «أجيب لكم منين»، أما الأم فلا يوجد في قاموسها هذه الكلمة فهي لا بد أن «تجيب لهم من أي حتة».

تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١١ يشير إلى أن هناك ما يزيد على ٣٤٪ من أسر مصر تعولها امرأة أو فتاة، وهذا بالطبع بخلاف الأسر التي تشارك في الإنفاق عليها مع زوجها.

«قالك مساواة.. قلنا له يا ريت، أصل التفرقة مش طبيعيااااااة».

(٣)

في حفل زفافي المتواضع جدًّا - القاعة وساندوتشات البوفيه بألفين جنيه، مفلسين بقى وكده - الحاجة الوحيدة التي استطعت أن أنفذها كما أردت هي أغاني الفرح، والتي بالطبع لم تعجب فتى الـ «دي جي» والذي قام بلعب أغنية «العنب العنب» ٦ مرات، و«أخيرًا اتجوزت» مرتين، المهم أن باقي قائمة الأغاني خاصة أغنية «يا عشاق النبي»بدلًا من أسماء الله الحسنى لهشام عباس وشركاه، وأغنية «هو وهيّ» والتى لم أتوقع أن تنال كل هذا الإعجاب.. التفّ حولنا الأصدقاء وقمت بغنائها أمام زوجي ولم أكن أتوقع أن يتجاوب معي..

إلى الآن لا يبقى لى من حفل زفافي سوى ذكرى هذة الأغنية، ولا يزال في الدولاب الطرحة التل اللي على طرفها ساتان اللي عملتها لي أمي.

(٤)

«ادبـح لها القطـة في ليلة عرسـها.. جيت ادبح القطـة جرى لي ما جرى».

لا والنبي؟ عفوًا، ولكن من المعروف أن كل السيدات لسـن كأم شـهاب جارتي في شارع السلام بفيصل.. لسنا كلنا ندرك قوتنا البدنية ونستطيع قهر رجالنا ونقدر أن نضرب أو حتى نرد الضربة.. جسديًّا لا نستطيع ونفسيًّا غير مؤهلات لهذا الفعل، معظمنا تربين على أن ضرب الزوج حق مشـروع له وإن ضرب الزوجة تأديب «ما كنش قاصده» أو تقول «أنا كويسة.. ما حصلش حاجة».

أم عـزة جـارة أمـي لـم تحتمـل ٤ سـنوات مـن الضـرب والإهانة «يا بنتي كان بيطفي السجاير في جسمها ويقلّعها في عزّ الشتا ويقعّدها على الأرض ورا الباب»، أمي قالت لي كده، أم عزة كانت تقول لأمي «هاعمـل إيه يعني؟ ما هو بييجي بعدهـا يصالحني ويبقى عاوز يبوس رجلـي»، أم عـزة لم تحتمل هذا المريض نفسـيًّا وهـي الآن في بلدها بالفيوم وفي إجراءات الطلاق.

في بداية العام الحالي قدمت رويترز نتيجة دراسة عن العنف ضد المرأة فـي العالم، وجاءت مصر في المرتبة الثالثة تقريبًا قبل أفغانسـتان، كما أنها فـي اسـتطلاع رأي آخر تذيلت قائمة الدول العربيـة، بينما حلت دولة جزر القمر على رأس القائمة، من حيث احترام المرأة ومشاركتها السياسية.

(٥)

«أقصر طريق لقلب جوزك معدته»!

لأ ثانية بقى.. كل الرجالة بيحبوا أكل أمهاتهم.. طبعًا أنا جوزي بيشكر في أكلي حتى من ورايا.. بس معظم الرجالة بتحب أكل أمها بدليل «أحن إلى خبز أمي» كما قال محمود درويش.. هل قال أحن إلى حضن أمي؟ بيت أمي؟ لا.. ذكر الخبز تحديدًا وهو كناية عن طبيخها حضرتك.

(٦)

«اربطيه جنبك يا هبلة بالعيال.. ليه يا أختي؟ لاجْل الضمان والهيمنة والسيطرة».

بصّي يا آنسة.. هيقعدوا يقولوا لك إن أحسن حاجة في الجواز هي الخلفة.. سيبك من موضوع الضمان والسيطرة، فالضامن هو الله وحده ،لكن نصيحتي : هاتي طفل واحد ولو عرفتِ تأخري الخلفة سنة اعملي ده بقدر استطاعتك، استمتعي بحريتك من بيت أهلك ومواعيد رجوعك إلى البيت ستصبح بمزاجك انت، اخرجي وسافري واسهري في حفلات وسينما وعيشي ونامي براحتك، ثم خلفي والبسي، أيوه هتلبسي ولوَحْدك: من سيغير حفاضة الطفل ٦ مرات أو ٨ مرات في اليوم؟ أنتِ ،مَن سيسهر إلى الفجر ويشاهد شروق الشمس بشكل متواصل بدون نوم؟ أنتِ، مَن سيتحول إلى مكنة هدفها تغذية الطفل؟ مَن ستتغير هرموناته بدءًا من الحمل والولادة والرضاعة ويتعرض لنوبات اكتئاب وبكاء بلا سبب؟ أنتِ يا عزيزتي، مَن لن يستطيع حتى دخول الحمام إلا لو ربنا كرمك وجت مامتك قعدت معاكي يوم أو البيه رجع بدري النّهارده من الشغل أو من سهرته بالخارج؟ مَن ستتوقف حياتها العملية لمدة سنتين بينما هو

نجمه يتألق في السماء؟ مَن سيتقيأ عليه الطفل و«يكشط» على هدومه وتتحول رائحته لعلبة زبادي برائحة زيت جونسون؟ أنتِ وحدك.

«خلفة إيه يا آنسة.. صلي على النبي».

(٧)

تستمع معي فريدة للأغنية بالصدفة تسألني «هما بيتخانقوا ؟» فأرد عليها: «آه حاجة زي كده»، وأضيف: «بيشوفوا مين الأول والأحسن هو الولد واللا هيّ البنت»، فترد بكل تأكيد ذات الـ ٥ سنوات في أنوثة عبيطة مبكرة «هي طبعًا.. إحنا يعني».

أبتسم وأقول في سري «بنت أمها»، ونستمع سويًّا للجزء الذي لن ينكره رجل «هيّ أجمل من هوّ» فهي حقيقة علمية يا فندم.

كلهم صابر وكلنا غالية!

قـد أكون أنـا الوحيـدة التي تصـدق صابـر بالرغم مـن كل عيوبه، أصدق حبه لغالية.. أعرف أن كثيرات الآن يشـتمنني كما يشتمن نوارة التـي هي أيضًا تعرف كل بلاويه وحركاتـه، وتصدق حبه لغالية وتحبه فوق البيعة.

عزيزاتـي اللاتـي يصببن لعناتهن على صابر عقـب انتهاء كل حلقة من مسلسـل «سجن النسا»، هل هناك تضاد بين أن يحبك أحدهم وأن يسـتغلك ويؤذيـكِ؟ ألا تصدقن الرجـال أحبابكن وهم يقسـمن على حبكن ثم يحصلن على ما يريدونه منا: فلوس، تتوسـطيله في شغلانة، أكلة حلوة، جنس.. إن شالله حتى بوسة.

(١)

إيه المشـكلة إن الرجالة كلهم يعملوا كده؟! يحبونا ويعملوا كده! يستغلونا ويبقوا واطيين وميتحملوش المسئولية؟

كأنكم متفاجئين يعني ومبيحصلش ده معانا !

وكأن الرجالة نفسهم شايفين إن فيه علاقة بين الحب وإنه ميؤذيش اللـي بيحبها، «لا يـا راجل.. حبها عادي وخد اللـي إنت عاوزه عادي برضو.. حقك».

(٢)

آخـر أرقـام صادرة عن الحكومة (الرسـمي يعنـي) بتقول إن ٣٥٪ مـن أسـر مصر بتعولها سيدة، معظمهـن لا يعملن في جهات رسـمية حكومـة أو خـاص.. يعملن خادمات أو بائعات في الشـوارع، يفتقدن التأمينـات الاجتماعية والتأمين الصحي، ولكنهن لا يفتقدن رجلًا يمد يـده في البوك بتاعهم ياخد الفلوس يصرفها على مزاجه أو سـهراته أو خروجاته.. يفتقدن الأمان.

(٣)

صابر معشـوق النسـاء فـي المسلسـل، والملعـون من النسـاء برة المسلسـل.. الواطـي الندل الاسـتغلالي.. تسـأل شـلة بنـات أجلس بينهـن، أثنـاء الفاصـل الإعلاني الطويل، لماذا كل سـتات المسلسـل بيحبوا صابر! وننسى أن كل واحدة منا لديها صابر الخاص بها!

(٤)

أم هديـر جـارة أمي لديهـا طفلان، وتعمـل خادمة بالطلـب، اللي يعوزهـا تروح تنضف له الشـقة وتغسـل السـجاجيد وتاخـد الفلوس وتروح، تجد زوجها عامل السـيراميك اللي بيشتغل يوم آه ويومين لأ، مسـتنيها بالعشـا وياخد منها الفلوس.. إلى الآن هي قصة أسرة صغيرة

سعيدة، فهو راضي وهيّ راضية.. لكن في آخر زيارة لأمي أخبرتني أن أبو هدير ضارب مراته علقة موت ومسفرها عند أهلها.. ليه يا ماما؟! أصله بقى بياخد برشام ودي مش أول مرة يضربها.. ما تزال قصة سعيدة، عادي يعني! الراجل بيضرب مراته وهو مش في وعيه !

بعدها بكام يوم تستكمل أمي الحكي في التلفون: مش أم هدير رجعت البيت؟ راح صالحها ورجعت معاه، بس شكله لسه بيضربها يا بنتي، أم هدير تقول لأمي: «ما هو بيرجع يصالحني يا حاجة.. وبيقعد يبوس على راسي ويحلفلي إنه بيحبني وميقدرش يعيش من غيري».

المشكلة إنها بتصدق وبترجع.

يبدو أن هناك العديد من صابر في المجتمع.. كل الرجالة صابر.

(٥)

هل مشكلة الستات أو البنات اللي بتصدق إنها بتبقى عايزة تعيش وتكمل؟ هل تخشى المواجهة؟ مواجهة الطلاق أو الانفصال أو الفشل؟ أم أنها تحبه لدرجة أنها تحب أن تستكمل حياتها مقهورة معه على أن تتركه لأخرى؟ أعتقد أن أكثر الأسباب هي الجهل.. فالكثيرات يعتقدن أن ضرب الزوج لزوجته هو حق مكفول له شرعًا، وأنها يجب أن تصبر وتحتمل بلاويه عشان المركب تسير، فالأم تعشش والأب يطفّش. تستمع لنصيحة الستات الكبار: استحملي عشان بيتك متخربيهوش بإيدك.

فتستحمل، والرجالة تتمادى، والنتيجة غالية وصابر.

(٦)

في الحلقة الثامنة يعود صابر إلى غالية يطلب الغفران.. تدفعه في صدره، تضربه، تصرخ في وجهه بالشتائم، ينظر إليها ويجلس على طرف السرير يدخّن سيجارة بكل هدوء.. هو يعلم أنها ستسامحه بالرغم من تكرارها لجملة: «اطلع برة يا صابر»، فصابر لم يخرج من بيتها، وفي المشهد التالي كانت غالية ترقص معه في زفّته عليها.. بينما تنهال على الشاشة لعنات كل البنات «يا غالية يا هبلة».. هن نسين تمامًا بجانب أن كل الرجال صابر، فكل البنات والستات غالية ؟!

(٧)

مش بس سجن النسا اللي في القناطر، لكن سجن النسا في كل البيوت.. البنت بتبقى مسجونة في أفكار أهلها «لازم تتجوزي بعد ما تخلصي تعليمك، ولازم تخلّفي في أول سنة جواز، وتخاويه السنة اللي بعدها».. البنت بتبقى ساجنة نفسها وبتبقى فاكرة إن الهدف منها في الحياة إنها وسيلة للتكاثر والتربية، ودورها بيخلص على كده.

السجن إنك تعمل حاجة إنت مش عايز تعملها، وتتقبل وضع ناس في حياتك إنت مش عايز تشوف خلقته.

(٨)

صابر مضحكش على غالية وخد منها فلوسها أو كدب عليها أو خانها مع صاحبتها وبس.. الأهم من وجهة نظر غالية إنه قهرها كست، وجرح كرامتها كحبيبة، وقال عليها هبلة.

في حضرة كلمة «معلش»!

(١)

«يعني إيه معلش؟ أنا زهقت من كلمة معلش»، كانت تصرخ في وجهي بهذه الكلمة.. هي صديقتي، كانت تشكو زوجَها.

(٢)

ما الذي نريده.. احنا الستات يعني؟ إممم، كلمة حلوة؟ قلم روج؟ أكلة حلوة برّا البيت واستريَّح من الطبيخ ووقفة المطبخ مرة؟ إمممم، ممكن نِفْسنا في فستان سواريه نلبسه واحنا مأنكشين أو مأنجشين جوزنا؟ حد يجيب الطلبات كلها من برَّا وهو راجع من الشغل من غير ما ينسى حاجة ويجيبها بالظبط كأنها هي اللي جايباها من على الرف؟ حد ياخد باله من لون شعرك الجديد أو إنك غيَّرتي الستاير بتاعة أوضة الولاد؟ ممكن جدًّا في لحظة تحلم واحدة مننا إن البيت باللي فيه يختفي وتبقى ف حتة بعيد على شَطّ فاضي ولابسة مايوه وبتسمع صوت النوارس وهيّ بتعوم والشمس طالعة؟ أو ييجي هو يحمِّي العيال ويلبِّسهم.. فيه واحدة كل أملها «أحس إني مهمَّة جوًّا

البيت مش بس ف شغلي.. لا، يبقى هو بالذات محسّسني إني مهمّة في البيت وف حياته.. هيفيد إيه نجاحي لو هو مش محسّسني إني بطلة حياته؟ «هكذا قالت لى إحداهن. ممكن واحدة مجنونة زيّ حالاتي تتمنّى تعمل فرح تاني وتلبس فستان وتتصور مع أصحابها تاني ودايما عينيها بتتشعلق على فساتين الفرح في الفتارين زي البنات».

تتنوع طلباتنا وأمانينا، لكن بالتأكيد كلنا -الستات- مابنحبش نسمع كلمة «معلش»، خاصة لمّا تتكرَّر بلا معنى.. فهي أحيانًا تُقال لمجرد إنهاء الموقف، أو البرنس عاوز يخْلص من «جوّ النكد» اللي انتي عاملاهوله.

ملحوظة: أحيانًا كلمة «آسف» لا تمحو أثر جرح أو إهانة أو ضيق سبّبْته حضرتك لها.. أحيانًا الموقف لا يتطلب أصلا كلامًا، وكثيرًا ما ينتهي الأسف بجرح آخَر يتراكم وينضم لكومة الجراح والـ«معلشات» الكتيرة وسيؤدي إلى الانفجار قريبًا إن شاء الله في وِشّ حضرتك.

(٣)

استدركَت صديقتي وهي تنفث دخان سيجارتها في مطبخي من ورا العيال «عارفة؟ لو جه قال لي معلش تاني، هاعلّق له يافطة على أول الشارع أكتب له عليها (كذا)»، وذكرت كلمة اعتراضية ما.. نظرت إليَّ بجدية تامة ثم انفجرنا معًا في الضحك.

(٤)

يعتقد الرجل أنه بتلفُّظه كلمة «معلش» ينتهي من الموقف ويُنهِي غضب الست مننا.. لا يعرف أنها أكتر كلمة بتنرفز وبتجنِّن.. كأنه

بيغطّي على شـوك بقماشـة حريـر. أولّا لازم فعلًا الراجـل يعترف إنه مقصّـر علـى الأقـل بينه وبيـن نفسـه، وثانيًا يبتـدي يتناقـش معاها في أسـباب المشـكلة ويبتدي يتكلم في الحلول الفعلية، ولو هي مشاركة فـي الغلط يفهّمها بشـكل لطيف، كده السـت هتحس إنـك فعلًا عاوز ما تكرَّرش المشكلة دي تاني، مش كلمة سَدّ خانة وخلاص.

أضبط نفسـي مؤخَّرا أردِّد «معلش» لابنتـي.. لو حصل ومانفذْتش وعدي ليها أو طنِّشـت طلب أو ماعملتش معاها الواجب.. مع الوقت لقيتني بالنسـبة لها «إيه الأم الغلسـة دي؟!»، أو ممكن أتحول لـ «ماما بتكدب عليَّا»، أو «إنتِ بتضحكي عليَّ يا ماما، صح؟»... قررت أبطل أقـول لها «معلش»، وأشـرح لها سـبب أيّ تصرُّف باعملـه: «ما كانش معانا فلوس»، أو «إنتِ لسـه جايبة لعب، مش هنجيب تانى»، أو «مش هتتفرجي على الفيلم ده عشان فيه ناس بتتعور وحاجات يع»...

(٥)

مَشَاهد حدثت بالفعل لكثيرات :

- مـش تعرَّفني إنك جايّ ومعاك حدّ على الغدا؟ أتصرف أنا ازَّاي دلوقت ؟

- اعملي أيّ حاجة، نسيت أكلّمك، معلش.

- فيـن الفينو؟ أعمل ساندوتشـات للولاد بإيـه الصبح؟ ومش دي الجبنة اللي بيحبوها أصلًا !

- معلش.

- أنا راجعة تعبانة جدًّا ومش قادرة أحمِّي البِتّ وألبِّسها وأنيِّمها.

- معلش.

- مش هتيجي معايا نلفّ على أُوَض الشُّفْرة بقى؟ إنت بتفكر نروح فين؟

- حاضر.. معلش

(٦)

انظر كده تاني يا برنس وحاول تلاقي علاقة منطقية بين استفسار وضيق زوجتك، وبين ردّك؟ بذِمِّتك فيه علاقة طردية أو عكسية أو بفيونكة حتى؟

وتستغرب لمّا تلاقيها مرَّة انفجرت على سبب تافه... أعتقد إن الأسباب تراكُميَّة إنت بتحوِّشها جوَّاها من كلمة «آسف» و«معلش»، كل مرة بتعمل رقم جديد وبتدخَّلها ف لِيفِيل جديد من اللعبة لحد ما توصل لمرحلة الوحش، بس مش هي اللي هتقابله، أنت اللي هتقابل الوحش.

الحقيقة وراء الـ« سمايل فيس»

(١)

قال لي: «أنا شخصيًّا مقتنع إن الألوان تلاته أخضر وأزرق وأحمر.. أمـا جبت البانيو جبته أزرق ونهى قعدت تتخانق معايا وتقول لي ازاي تعمـل كده والحمـام لبنـي.. لغاية دلوقـت أما بدخل الحمام بشـوف الاتنين أزرق وحاسس بسلام نفسي حاد».

صديقـي لخّص الأمـر بكل بسـاطة فعلميًّا الرجـال لا يفرّقون بين درجات اللون الواحد، فمثلًا: الفوشيا والبينك والروز والأحمر وربما البرتقالي بالنسـبة لهم كلها: لون أحمـر، لا يعرفون من درجات اللون الأخضر سـوى الأخضر والزيتي، ولو سـألتيهم عن البيسـتاج لظن أنه نوع صواريخ روسي

هم لا يعرفون التفاصيل ولا يهتمون بدرجات الألوان ولا بذكريات يومٍ ما.

(٢)

لسـنا نحتاج لمجهود كبير إذن لنعرف أن مخترع الـ« سمايل فيس» رجـل.. الوجه المسـتدير المختـزل للسـعادة أو الموافقـة أو الرخامة

المطلقة.. ضغطتان على زر الـ: شيفت + ك وشيفت +٩ تعطيك في النهاية وجهًا أصفر يبتسم، ويتم استخدامه لا لتوصيل الإحساس بالسعادة للطرف الآخر وإنما لاختزال الكلام.

(٣)

« النهاردة أنا كنت سعيدة جدًا ومبسوطة وانت ماسك إيدي، كنت حاسة إني طايرة فعلًا.. فاكر لما شويّة هَوا جُم وانت ماسك إيدي واحنا ماشيين جنب مترو محمد نجيب؟ كنت فعلًا حاسة إني خفيفة، مش هانسى أبدًا القميص اللي انت كنت لابسه يومها ولا نظرة عينيك ليَّ.. ربنا يخليك ليَّ يا حبيبي.. باحبك قوي» والرد بتاع البرنس يأتيها محبطًا عاصفًا بأي أمل إنه يقولها كلمة حلوة ويشرح لها هو كمان كان حاسس بإيه.. يرد بـ: سمايل فيس.

تسأله مصدومة: «إيه الرد ده؟» يقول: «فيه إيه.. عاوزاني أقول إيه؟ الفيس ده معناه إني أنا كمان كنت مبسوط» ثم يسألها بذكاء يحسد عليه ما شاء الله: «أنا بقى عاوز أعرف منك حاجة؟ إيه لازمة كل التفاصيل اللي قلتيها دي؟.. ألو، مش بتردي ليه؟.. ألووو».

هذه كانت صديقة تحكي لي محادثة بينها وبين خطيبها.

(٤)

وفي رحلة بحثي عن السبب الذي جعل خطيبها يرد بـ« السمايل فيس» أسأل صديقًا مثقفًا وواعيًا لماذا تختزلون الحياة والتفاصيل والذكريات؟ «انتوا مش عارفين أن الحياة بتتكون من ذكريات وروائح

مرتبطة بالذكرى وبألوان وأصوات مازيكا وإننا لما بندخل نفس الأماكن بنفتكر تفاصيلها يومها؟ ليه مش بتهتموا بالتفاصيل؟».

يرد قائلًا بكل أريحية وبهدوء: «كلنا كده.. الرجل كائن رخم اختزالي غير عاطفي غير انفعالي»، لولا حرصي على صداقته كنت رددت عليه بشكل مختزل في صوت رخيم من مؤخرة الحلق.

(٥)

بما أنه لديَّ قناعة أن مخترع «السمايل فيس» رجل، فمخترع الـ«شير» هي بالتأكيد امرأة، وربما تكون صديقة زوكربرج نفسه.

(٦)

عزيزتي الفتاة الساذجة التي لديها أمل أن ترتبط بشخص يماثلها في التفكير والاهتمام بالتفاصيل والذكريات العاطفية، أود أن أقول لك: «كان غيرك أشطر» وأحبّ أن أضيف: «لما تغيّري الستاير على دخلة العيد الصغيّر مش هياخد باله.. ولا هيفرق معاه أصلًا إن النيش مكانه اتغير بقى جنب الجزامة، ولا إنك بعتي أوضة النوم عشان تجدديها، وإنه نايم عالمرتبة عالأرض.. إنت مش واخد بالك من حاجة ؟» هيرد رد الأفلام وهو بيعدل المخدة عالمرتبة «غيرتي قصة شعرك؟».

وهو على عكسك تمامًا هتلاقيه مش فاكر قبل خطوبتكم بيوم كان لابس قميصه المقلم ولا تي شيرته الأورانج، في حين أنه حافظ جول محمد صبري في الأهلي سنة ٩٣، وعارف اسم حكم مباراة مصر وتونس سنة ٩٩، وأقطع دراعي لو حافظ اسمك الرباعي.. إنت مين أصلًا؟ إيه اللي دخلك في حياتي؟ مين اللي خطفني من بيتنا وجابني هنا؟

علاقة الستات بالشيشة تاريخية.. بس وأنا مالي!

(١)

إلى الآن لا أعرف كيف يدخنون الشيشة..؟! فأنا أضع المبسم في فمي ثم «اسحب نفس» فلا يأتيني أيّ شيء.. جربتها أكثر من مرة، تجلس جواري صديقتي و«تشد» فأسمع صوت الكركرة في قارورة الماء، أنحني لأنظر أراقبها جيدا.. تسطع فكرة غريبة في رأسي «هو انتِ بتسحبي ولا بتنفخي؟ بجد والله يمكن أنا مش فاهمة» يضحكون.. أجرب مرة أخرى وأفشل.. أغضب » أنا عايزة أعمل بقاليل كده زيكم.. اشمعنى انا ؟».

(٢)

أكبر مسح عالمي عن التدخين أجرته منظمة الصحة العالمية في ٢٠١٠، أشار إلى أن ٠.٦٪ من الإناث في مصر يتعاطين التبغ، نصفهن تقريبًا يدخن الشيشة والتبغ الممضوغ، كما أن هناك ١.٤٪ من السيدات يدخن في الفئة العمرية من ٤٥ إلى ٦٤ سنة.. والمفاجأة أن ٩٨٪ من مدخنات الشيشة يدخنها في المنازل، بينما الـ ٢٪ المتبقيات

هـن اللاتي نراهن في المقاهي.. فمن يقول إن تدخين الشيشـة انتشـر مؤخرا بين السيدات فهو ساذج لا يعلـم إنها عادة قديمة.

(٣)

«الستات والشيشـة» يصلح عنـوان فيلم سـينمائي كفيلـم «المرأة والسـاطور» فولع السيدات والشيشة يعتقد السـاذجون من الرجال أنه ولـع حديث، فعلاقة السـت بالشيشـة علاقـة قديمة، فنسـاء العائلات المصرية كـن يجلسـن مجتمعـات يدخننها فـي جلسـات حكيهن أو مناسـباتهن واشـتهرت الحمامات البلـدي قديما بهذه الجلسـات في حجرة الاسـتراحة التي كن يخرجن فيها من حـرارة غرف البخار إليها قبل خروجهن مباشـرة إلى هواء الشـارع، حتى لا يمرضن من تفاوت الحـرارة المباغت.. فغرفة الاسـتراحة كانت تشـهد جلسـات تدخين شيشة، وكذلك سـيدات الصعيد والأحياء الشعبية مشهورات بتدخين الشيشة والسجائر.. تذكر مشهد عبلة كامل وهي تدخن السجائر بشكل علنـي أمـام زوجها وأبنائهـا وجاراتها في فيلم «عـرق البلح»، أو تحية كاريوكا / شـفاعات في فيلم «شـباب امـرأة» كانت تدخن الشيشـة.. ارتبط أيضا مشـهد الشيشة بالـ «معلمة» عند السـيدات فمعلمة القهوة كان لزاما عليها أن تدخن الشيشة في الفيلم.. أكليشيه ثابت حضرتك.

(٤)

إجمالا فعـدد المدخنين ١٤ مليون مدخن - حسـب أرقام صادرة عـن جهاز التعبئة والإحصاء في ٢٠١٤ - لا تمثل السـيدات من الرقم نسـبة ١٪، ولكـن هذه النسـبة الصغيرة من المدخنات - حسـب كلام

الحكومة - تميل لتدخين الشيشة عن السجائر، بل وحسب مسح منظمة الصحة العالمية ٩٨٪ يدخننها في البيوت.. فأيّ ولع وأيّ علاقة حميمة بين الستات والشيشة !!

أعرف سيدة تبيع السمين في سوق المنيب تجلس تدخن الشيشة بجانب عربة السمين وسط السوق، «مزاجها كده».

(٥)

حتى تدخين السيجارة جربتها.. أتذكر جيدا أول سيجارة كانت رفيعة- ليس كرفع السجائر السوبر - ومستوردة بطعم النعناع في بداية عام ٢٠٠٠ كنت لا أزال طالبة في الجامعة، دخلت الحمام ودخنتها، وعلى الرغم من طعمها الزفت إلا أني استكملتها للنهاية حتى لا يفوتني شيء «مش يمكن طعمها يطلع حلو في الآخر؟!»، أغلقت باب الحمام عليّ جيدا واستندت للمغسلة على الرغم من عدم وجود أحد في المنزل وقتها.. إلا أن الطقوس جرت على ذلك، «ندخن في الحمام من ورا أهالينا» وأنا باحب أطبق الكلام كله.. «إيه طعم الورق المحروق ده.. يع».

أنا لست ملاكا، أنا فقط حاولت وفشلت.

(٦)

مجتمعنا ذكوري.. هذه الكلمة أصبحت مستهلكة جدا ككلمة عبث، ولكن بالفعل هي المناسبة عند الحديث عن مجتمع يبحث بكل حماس عن خطأ للفتاة حتى وإن كانت تريد أن تدخن سيجارة

أو شيشـة، فإن كانت عادة سـيئة فهي سـيئة للرجال قبل النساء.. فبالله عليك ما الذي يجعل الست المدخنة «شكلها وحش قوي كده».

(٧)

بالطبع حتى لا يتهمني أحد بالتحريض على حب الشيشـة، فأحب أن أضيف أن التدخين مضر و«وحش»، وأنا شـخصيا وجدته بلا طعم بالعكـس «بيخليـك تكح وتتعب»، بجانب فشـلي التـام حتى الآن في فهـم آلية تدخين الشيشـة، وأعتقد أحيانا بشـكل تآمـري أن صديقاتي يضحكن عليَّ، فبينما أنا باسحب نفس المفروض أنفخ.. «مش فاهمة بتكركر ليه بس»، سـأكتفي فقط بركوبي لدراجتي في شـوارع مدينة ٦ أكتوبـر.. فهي الحاجة الوحيدة اللي فلحت فيها واسـتطعت أن أفرض قـراري وأركبها علـى الرغم من اعتراض أمي، حينمـا كنت في الـ ١٥ أشـاطر أخـي ركـوب الدراجـات... لكـن بحثـي مسـتمر وتجاربي ستكتمل فسأحاول قريبا أن أجرب الحشيش.. وافهـم طقوسه!

عزيزي الرجل : هل تمنيت يوما أن تكون امرأة ؟

(١)

كنّا ٥ أصدقاء نسير في شارع قصر العيني عقب مباراة الأرجنتين وهولندا، وكنت الأنثى الوحيدة في هذه المسيرة سألتهم بشكل مباغت لي ولهم: «هو انتوا عمر ما حد فيكم اتمنى يكون بنت؟».

نظروا إليَّ مستفهمين فأكملت:« يعني دايمًا البنات بيتمنوا.. كان نفسى أبقى ولد وكده.. إنتوا عمركم ما اتمنيتم العكس؟».

الغريب أن ٣ منهم لم يهتموا بالإجابة وواحد منهم نظر إليَّ بعدم اكتراث وقال: «لا طبعًا.. هو أنا عبيط يا حنان».

(٢)

كنت طفلة لم أتجاوز العاشرة وكانت كل أحلامي أن أدخل الجيش وأتطوع، خاصة وأنني من عائلة منوفية كل الشباب والرجال فيها متطوعون.. كنت أحلم أن أرتدي البدلة العسكرية والكاب، فيما بعد أدركت الكارثة وتحطم حلمي بأنه لا توجد فتيات يدخلن الجيش إلا

لو طبيبات أو ممرضات وكان الأوان قد فات، فقد تخصصت أدبي في الثانويـة العامة، خاصة وأنا لا أطيق علـم الفيزياء، وظهرت في حياتي لأول مـرة «كان نفســي أبقى ولد».. ثم أصبح هدفـي أن أتزوج ضابطًا فـي الجيش، وفشـلت والحمد لله، فيما بعد تكـررت الأمنية كثيرًا في أن أتحـول إلى ولـد.. خاصة مع ازدياد المحاسـبة على التأخير خارج البيت أو أثناء انتظار فتى الأحلام أن يأتي ويأخذني بعيدًا عن هنا.

(٣)

عزيزي الرجل لماذا لا تحبذ أن تتحول إلى فتاة؟

اختر مما يلي:

- عندما أكون بنتًا لن أسـتطيع السـير على كورنيش النيل بمفردي، ولا أن أجـرب القفز على سـوره والجلوس كاشـفًا بنطالي عن سـاقي مستمتعًا بالماء.

- لست في حاجة لأن أذهب إلى مصيف مخصص لأستطيع لبس المايـوه.. فأنا أتخلص من ملابسـي وأقفز فـي الماء بلا تفكير: هل هو مصيف مناسب أم لا!

- أبقى إلى وقت متأخر في الشـارع مع أصحابي، نتحدث ونضحك ونلقي على بعضنا الشتائم بصوت عالٍ وببساطة دون الالتفات إلى أحد.

- لا أجد نفسـي مضطرًا إلى نشـر ملابسـي الداخلية في الصفوف الأخيـرة مـن منشـر الغسـيل أو في الحمـام.. بـل على العكـس فكل ملابس الرجل تنشر في الصف الأمامي.. عادي!

- لـو أنا بنت سـأنال النصيـب الأصغر عنـد توزيع الطعـام مقارنة بأنصبـة إخوتي الأولاد.. على الرغم من أن كونـي بنتًا يجعلني أحتاج غذاء أكثر من الولد.

- سأتكلم في التلفون لوقت متأخر مع أي شخص، ولن أجد أخي الولـد -الأصغر مني- يبحث في رسـائل هاتفي ولـن يراجع صفحتي على فيسـبوك ليرى من علق على بوسـتاتي ومن أبدى إعجابه بصورة البروفايل.

- لـن أحمل ولن ألـد ولن يأتيني التعب الشـهري، ولن أحمل همَّ السهر طوال الليل بجانب طفلي الذي لا يكفّ عن البكاء.. كل ما عليَّ فعله هو ممارسة الجنس فقط.

- إذا استخدمت المواصلات لن أخشى من أن يتم التحرش بي.

- إذا صادفنـي حظي العثر بأن أكون بنتًا في منطقة شـعبية أو لطبقة متوسطة وكنت محجبة، سأضطر إلى ارتداء ما يسمى بـ« بادي كارينا»، وللعلم فالذي اخترعه مريض نفسي يهوى سلق البنات.

- جميع ما سبق.

(٤)

سألتها: «كان نفسك تطلعي ولد؟».

قالت لي وهي تضحك: «بلا وكسة.. أنا أجدع من ١٠٠ راجل، فيه حاجات بتضايقني طبعًا في البيت بس بأقاوح».

هي صديقتي عندها ٢٧ سنة وتعمل عضوًا منتدبًا في شركة سياحة كبيرة.. في كل عام لها حبيب جديد لأنها كل مرة تكتشف عيبًا ما، مرة كذاب، ومرة أناني، ومرة دلوعة ماما.

(٥)

في السينما دائمًا الرجل عندما يلجأ للتنكر في دور امرأة، نجده يتقن ذلك جيدًا.. بدءًا من إسماعيل ياسين وعبد المنعم إبراهيم لجورج سيدهم لمحمد هنيدي، فعلى الرغم من الملامح الحادة إلا أن المكياج وتغيير نبرة الصوت وأداء الجسم تبدو مقبولة تمامًا، أما السيدات اللاتي مثلن دور رجل كنادية لطفي وسعاد حسني كان مظهرهن مثيرًا للسخرية وغير مقنع..

فيلم «الآنسة حنفي» كان علامة سينمائية ولا يزال، في إثارة الفرق في المعاملة بين الرجل والمرأة في المجتمع وتحول المعاملة معه - حنفي - بعد تحوله إلى فتاة، وأصبح يعاني من الأسلوب نفسه الذي كان يعامل به ماجدة الصباحي عندما كان رجلًا.. لكن لا يبقى من الفيلم بالنسبة لنا سوى مشاهد كوميدية دون الالتفات إلى ما وراء الكوميديا، خاصة مشاهد غرام «فيفي» مع أبو سريع.

(٦)

تقترب مني وأنا منحنية على أرضية المطبخ أنظف شيئًا ما: «ماما.. هو انتي سندريلا؟».

عقلها الصغير ربط بين منظري ومشهد معشوقتها الأولى بلا منازع سندريلا.. أضحك وأقول لها: «آه سندريلا.. والأمير جه بس القصر لازم يتنضف وسندريلا لسه بتنضف قبل الجواز زي بعد الجواز».

تنظر إليَّ بعدم فهم: «إيه يا ماما؟».

ثــم تجـري إلـى غرفتهـا لتسـتكمل مشـاهدة فيلم آخـر وأضيف: «يا عينـي يا فريدة ده انت هتتصدمي أما تكبري.. لا فيه أمير ولا هتبقي أميرة.. الأمير بيبقى عنده كرش بعد الجواز وسندريلا بتحتاس بالعيال، والأمير ما بيبوسش سندريلا وهو نازل من القصر رايح الشغل».

لـم أتمنَّ أن أنجب ولـدًا على الرغم من ذلـك.. فالبنات لهن خفة روح ويخلقن حياة مختلفة عن الصبيان في البيت، سأحرص على ألا تتمنى فريدة يومًا ما أمنيتي وتقول: «يا ريتني طلعت ولد».

(٧)

كنـت أسـير علـى كورنيش النيـل وقت عصر فـي أحد أيام الشـتاء والدنيـا كانت تمطر وكنت قد اشـتريت «سـميط»، وسـرت لاستمتع بمنظر المطر وهو يتسـاقط على وجه النيل.. لم أكن أفعل شـيئًا سـوى الاستمتاع وإقناع نفسي أن الحياة جميلة جدًّا، ثم جاء من خلفي وألقى على سـمعي جملة بذيئة.. على الرغم مـن تعرضي للتحرش كثيرًا إلا أنني هذه المرة كرهت نفسي وكوني بنتًا وكرهت جسدي والبلد، لكن يومها لـم أتمنَّ أن أتحول إلى ولد.. كيف أريد أن أكون بهذه الدناءة؟

لم أتمنَّ بعدها مجددًا أن أتحول إلى ولد.. لكنني لم أعد أسير على كورنيش النيل وهي تمطر بمفردي.

My vagina is not a dirty word

بترجمة أنيس عبيد

(١)

كنّا ثلاث صديقات متزوجات نسرق ساعتين بعيدًا عن « العيال والبيت » كانت إحدانا حاملًا في شهورها الأخيرة، وتطرق الحديث إلى التحرش والمعاكسات، ثم تخصصنا أكثر إلى الحديث عن التحرش أثناء الحمل..

قلت لهن ضاحكة: «لما كنت في الشهر السابع كنت ماشية في شارع يصل بين شارع فيصل والهرم وما كنتش عارفة إن الشارع ده مشبوه إلا بعدين.. وعشان حامل كنت ماشية بالراحة ومشيتي دي اتفهمت غلط خاصة للي مش شايفني من قدام.. المهم جت عربية من ورايا قربت بهدوء وسمعت صوت الشباب بداخلها، أول ما شافوني من قدام «اجري يا واد دي حامل» وأنا فطست من الضحك عليهم».

صديقتنا الحامل قالت لنا: «أكتر كلمة بقى باسمعها، يمكن سمعتها مرتين والا تلاتة، ألاقي واحد معدي يقولي يسلم اللي ... أو يقولي: يا بخت اللي..».

صمتنا جميعًا وانقطع الضحك.. فقلت لها: «تقريبًا كلنا سمعنا الكلمة دي، عادي يعني..»، ثم أخذتني الجلالة وأضفت: «إبقي قولي له إنت نفسك يا كذا أمك جبتك كده»، وانفجرنا بالضحك مرة أخرى.. وتحدثنا عن حلاوة كيم كارديشان وهل « ده طبيعي ولا سيلكون؟».

(٢)

تنطلق من فم سائق التاكسي الذي أستقله أنا وابنتي ذات الخمسة أعوام شتيمة لسائق آخر يذكر فيها عضو والدته التناسلي بمسماه الشعبي.. أحاول أن ألهي ابنتي عن التفكير فيما سمعته منذ ثوانٍ وأفتح الكتاب الذي اشتريناه وأصف لها الأميرة «إلسا» لحظة تحولها وإظهارها قوتها السحرية.. بطريقة « غلوش غلوش».

التفت إليّ السائق «قال إيه» معتذرًا.. فقلت له: «على فكرة انت مش واخد بالك أن معايا طفلة؟ ولو سألتني إيه اللي انت قلته ده هاقولها عمو قليل الأدب» فقال لي: «معاكي حق.. قولي لها كده».

المشكلة أن ابنتي ستكبر وستسمع شتائم كثيرة في الشارع عندما تمشي بمفردها لن تجد مني أي «غلوشة»، ستسمع وستفكر في معناها وتحاول أن تعرف.. المصيبة أنها ستعرف أيضًا أن كل هذه الشتائم تهتم بأعضاء المرأة أو بنظافتها أو بفعل حميمي ما يحدث مع أم أحدهم.. أو يصفها بالخرقة البالية.

(٣)

في بوفيه جريدة الدستور منذ ٥ سنوات في نهار رمضان أجلس مع زميل مسيحي، فاجأته وهو يأكل سندويتشًا في السر بعيدًا عن

أعيننا لمراعاة مشاعرنا: «بتعمل إيه يا ميشو؟ أنت بتااااااكل؟» يرد عليّ: «جعان يا ستي أروح آكل في الحمام يعني؟» أضحك وأطلب منه سندويتشا، يفاجأ بإعلاني عدم صومي! تدخل علينا زميلة أخرى تفاجأ هي أيضًا بتناولي الطعام معه «تزغر لي» أضحك لهما: «إيه يا جماعة؟ أنا مش صايمة.. إيه المشكلة يعني؟».

البنات والنساء تربين على أن فترة حيضهن عار.. ولو أنّ أحدًا من الأسرة علم بذلك من الذكور حتى الأب تكون وكأنها ارتكبت جريمة، تربينا على أن «طبيعتنا» التي خلقنا الله عليها عيب ونقطة ضعف كبيرة.

(٤)

الرجل لا يهان بسرقة أو بوعد نكصه، أو بنذالته في موقف احتاج إلى قوته التي يتباهى بها، وإنما بكل بساطة يهان بذكر أمه بسوء.. وكأنها أنجبته من الهواء ولم تمارس الجنس مع أبيه، وكأن تذكير خصمه له بممارسة أمه للجنس يعيبه.. وكأن الخصم نفسه لم يأت للحياة عن طريق إحدى هذه الممارسات الجنسية.

هل ممارسة الجنس تعتبر نقطة ضعف؟ ولماذا لا تعتبر نقطة ضعف للرجل - الطرف الآخر في الممارسة؟

هل ممارسة الجنس والتعبير عن الاحتياج والحب في لحظة حميمية مدعاة للإهانة لأحد طرفيها؟

لماذا يكون الفعل نفسه مدعاة للفخر للرجل؟ فعندما يريد أحدهم تهديد آخر يتوعده أن يفعل به هذا الفعل.. وكأن هذا الفعل عقاب أو «مذلة».

(٥)

عضـو المرأة التناسـلي هدف رائع للسب، يترك فـي قلب الرجل إهانـة فظيعة بينما عضوه هـو مدعاة للتباهي والفخـر.. لا هذا ينتقص ولا هـذا يزيد، هي فطرة وطبيعة فيسـيولوجية خلقنا اللـه عليها ليوزع الأدوارالفيسولوجية بيننا لا لنستغلها منذ زمن لإهانة أحد الأطراف..

(٦)

My vagina is not a dirty word

جملة بالإنجليزية رأيتها مكتوبة «جرافيتي» على أحد جدران مدينة بيروت.. وترجمتهـا الحرفية «عضوي الأنثوي ليس كلمة قذرة»، أول ما قريتهـا حسـيت باللي كتبتهـا جدًّا.. كل ما نبقى ماشـيين في شـارع نسـمع حاجة تخصنا بيتعاملوا بيها «شـتيمة»، البوابـة إلى الرحم الذي تخـرج منه حيـوات كحيـاة الرجل الذي يسـتخدمه كمسـبة للآخر أو لدعابـة ثقيلـة الدم.. البوابة التي أتى منها هو شـخصيًّا يسـب بها.. أي جنون يحكم هؤلاء الرجال عالمهم وعالمنا؟

قبـل مـا تشـتم فكّـر وشـغل مخـك.. ابتكـر وابتعـد عـن النمطية والمتوارث، اعقلها يا سيدي، فنحن - أهل بيتك - لسنا مدعاة للإهانة بـل شـرفك الشـخصي وكلمتك ووعـودك التـي لا تنفذهـا، وكذبك علـى ذاتك وسـرقة أفـكار الآخرين، وعـدم تفكيرك حتى في سـبابك لماذا تنطقه؟

كل البنات زيّ بنات شقة مصر الجديدة!

تقول الأسطورة الشعبية منذ أكثر من عشر سنوات، إن عدد البنات أكثر من عدد الولاد، وإنهم بعد كده «هينزلوا على بطاقات التموين لكل شاب»، والكثير من الـ «ههههههههه».. لكن الإحصاءات الرسمية تشير إلى أن عدد البنات أقل، فالذكور ٥٢٪ والبنات ٤٨٪ من المجتمع المصري -حسب تعداد مصر في ٢٠٠٦- واخدلي بالك يا حاج؟ إحنا بس اللي بنحب نخرج في مجموعة كبيرة، وأما بنمشي في أي شارع بنمشي شلة مع بعض نتونّس ببعض ونهزر ونضحك، مبنحطش في دماغنا إن فيه ناس بتنتقد صوتنا العالي، أو إننا ماشيين بخط واحد بعرض الشارع، علشان نسمع بعض ومفيش واحدة مننا تبقى ورا منسية أو حد يستفرد بيها يغلس عليها بكلمة، أو تحس إنها منبوذة مننا.. إحنا مش كتير بس برضو مش قليلين.

أسطورة أخرى بتقول: إن البنات مش حلوين مع بعض وبياكلوا في بعض، ونفسياتهم مش سوية لبعضيهم كده وفيه غيرة، لكن تلاقي البنت من دول تحب تصاحب الولاد أكتر علشان الولاد جدعان مع

البنات وبيحبوا يخدموا.. أنا شخصيًا بحب أتكلم مع الولاد أكتر من البنات، لكن أمَّا بكون في مشكلة من غير ما أدور على حد، بلاقي صاحبتي جنبي بتعمل لي أي حاجة أنا عايزاها علشان أبقى كويسة وأخرج من الحالة اللي أنا فيها.

ممكن صاحبتك تغير منك لو لابسة بنطلون حلو، لكن لو لقيتك في مصيبة أو مشكلة هتنسى غيرتها وتجري تبقى جنبك، علشان البنات بيحسوا ببعض أكتر.

ممكن الراجل يفهم كلامك بعقله، لكن البنات بيحسوا ببعض أما بيكونوا في مشكلة عاطفية أو مكتئبات أو فيه حاجة مزعلاها بس مقالتش.

في فيلم شقة مصر الجديدة محمد خان أكد الحتة دي، لمَّا نجوى عملت نفسها وقع منها فلوس قامت ست قعدتها مكانها وقالتلها عاوزة فلوس؟ إنتِ رايحة فين؟ ولما البنت اللي في شقة حياة حاولت تنتحر بسبب علاقة حب فاشلة نجوى هي اللي ساعدتها، ولما كانت مبلولة من المطرة اللي مطرت في مصر الجديدة البنات كلهم اتلموا حواليها يلبسوها هدوم ناشفة عشان متعياش.. حتى لما كانت فيه واحدة بتولد في محطة القطر كل الستات اتلموا يساعدوها مقالوش نطلب الإسعاف.. اللي منقبة واللي مش محجبة وحتى نجوى نسيت معاد القطر بتاعها وهي واقفة متنحة وخايفة في مكانها، بس مجرد وجودها أكيد كان مطمئن للأم اللي بتولد.

أول حد بيبقى جنب الواحدة أما بتولد جوزها، لكن أول حد بتسأل عنه «هاتولي ماما»، فالأم هي أول صاحبة لبنتها حتى لو كان الزوج حنين.

أنا آه ممكن أغير أو أنفسن من واحدة علشان جايبة فستان حلو، وخطيبها خرج معاها أول امبارح ودخلوا سينما سوا، أو إن سعاد جابت بيجامات حلوة في جهازها وأنا لأ.. أو إن طنط ماجدة راحت مصيف مع ولادها وإحنا مصيفناش السنة دي.. لكن لو واحدة فيهم حسيت إنها في مشكلة هروح أفرض نفسي عليها وأساعدها غصب عنها.

صدق صلاح جاهين لما قال: «البنات حنينين.. كلهن طيبين»، وربنا وفق أيمن بهجت قمر لما كتب « اللي مخلفش بنات مشبعش من الحنية ولا داقش الحلويات».

البنات للبنات، حتى لو كنا بنغير من بعض، لكن لما بنكون في مشكلة بنجري نلحق بعض من غير ما صاحبة المشكلة تتكلم، علشان عندنا مؤشر كده جوانا مظبوط على بعضينا، بنعرف هي زعلانة ولا لأ ومكتئبة بشكل عام ولا التكشيرة دي بسبب مشكلة محددة؟ الرجل بشكل عام بيبقى شايف إن البنت مش مظبوطة، لكن نوع الزعل إيه؟ ولا هيعرف.

إحنا ببساطة : بنعرف!

القواعد الأربعون لوقفة يوم العيد

كيف تتعامل مع زوجتك في يوم وقفة العيد؟

الليلة عيد والعريس بيتجوز، وما دام العريس بيتجوز يبقى العروسة هتتجوز «بديهيات حضرتك زي أغاني حمادة هلال، وما دام ده عيد وإنت هتعيد يبقى كمان مراتك هتعيد.. ده المفروض يعني.

أما ما يحدث على أرض الواقع، وأرض الصالون وهي بتتمسح، وعلى أرض اللوا، إنها (مراتك) مش بتعيّد.. فيه حاجات بتبقى ناقصاها ومحتاجاها منك بجانب خططك الخاصة بالسيكو سيكو.. حاجات تانية بتبقى أهم لها وهي تعبانة.. عايز تعرفها وتنفذهالها هنقولك عليها، عايز تعرف ومتعملهاش.. براحتك.

١ ـ مش لازم يوم الوقفة تقضيه كله مع أصحابك برة البيت.. حاول تروح بدري تساعدها في أيّ حاجة.

٢ ـ نفّضلها السجاجيد.. مش لازم هي تمسك المنفضة وتوطي، ضهرها يتقطم.

٣ ـ لو هتغسل السجاجيد اغسلهم إنت.

٤ ـ لو مش هتغسلهم ولا تنفضهم اعملهم إنت بالمكنسة.

٥ ـ بص.. اعتبر السجاجيد دي مسئوليتك إنت.

٦ ـ متدخلش البيت بالجزمة خااااالص، اقلعها على الباب ونفضها وشيلها لحد مكانها جوة، اللي هو الجزامة أو على جنب.. آه وشيل منها الشراب حطه في الغسالة، مترميهوش جنبها.

٧ ـ حاول تخبّي نواياك الجنسية لحد ما تخلص شغلها وتاخد دش وتستريح، ويا ريت تسيبها في حالها لحد ما تنام وتصحى الصبح أول يوم العيد.. «الإحساس نعمة» (مكتوبة على ضهر توك توك).

٨ ـ نفَّض السجاجيد.

٩ ـ حمّي إنت العيال.

١٠ ـ هات أكل جاهز من برة، مش لازم تعمل فطار يوم الوقفة وهي بتنضف، محبكتش يعني.

١١ ـ مش لازم تجيب ورد أو هدية أو تديها عيدية، كفاية تساعدها بأي حاجة بسيطة.

١٢ ـ حتى لو قالتلك مش عايزة مساعدة ساعدها.

١٣ ـ لو أصرّت إنك متساعدهاش خلاص.. بس متخليهاش تلف وراك في الشقة تعيد ترتيب الشقة.

١٤ ـ من الحاجات البسيطة دي: رش مبيد للناموس في كل أوضة تنضفها واقفلها.

١٥ ـ سيطر على العيال ميبهدلوش الأوض.

١٦ ـ بعد ما المبيد ريحته تروح ممكن ترش معطر جو أو تولع بخور، بس بلاش اللي بريحة الفواكة، الستات مش بتحبه، إصله مش معسل يعني.

١٧ ـ لِمْ العيال في أي أوضة خلصت تنضيفها وهات ورق وألوان وحواديت وبالونات والعب معاهم، منها تشغلهم عنها، ومنها دول عيالك والله، والليلة مفترجة.

١٨ ـ ممكن تعملها مساج في رقبتها بعد ما تخلص وكوباية شاي.. أو كوبايتين تشربوهم سوا.

١٩ ـ متتكلمش عن نواياك الجنسية إلا لما تخلص تنضيف وتستريح.

٢٠ ـ نفّض السجاجيد.

٢١ ـ خد دش والبس حاجة نضيفة وحط معطر جو.

٢٢ ـ طبعًا أنا قلتلك مش مهم ورد أو عيدية، بس مفيش مانع لو جبتلها بالونة مع العيال.. هتنبسط.

٢٣ ـ شغّل أغاني وهي بتنضف من اللي بتحبها.. أو شغل الراديو لو هي بتحبه.

٢٤ ـ وسيطر على الولاد ميعملوش دوشة.

٢٥ ـ اهتم بنفسك.. علق هدومك لو نضيفة، مش نضيفة حطها في باسكت الغسيل.. شيل طبقك بعد ما تاكل، لو كرمشت ملاية افردها بعد ما تقوم، لو جبت كتاب من المكتبة رجعه مكانه، نضف منفضة السجاير.

٢٦ ـ لو العيال بهدلوا حاجة ظبطها.

٢٧ ـ نفض السجاجيد.

٢٨ ـ متدخلش بالجزمة لحد جوّة.. إنت حر، هتتظبط.

٢٩ ـ ممكن تعرض عليها تعلقلها الستاير، وحاول تفهم بتتعلق إزاي من الأول عشان متقعدش تنده عليها كل شوية توريك إزاي وتسيب اللي بتعمله، متزهقهاش في عيشتها.. تعلم في صبر ونفذ في صمت.

٣٠ ـ قولها كلام من نوعية: «معلش يا ستي.. ربنا يقويكي.. أعمل معاكي حاجة؟ الله ينور، البيت شكله وريحته حلوين».

٣١ ـ ركز لو غيرت مكان حاجة في البيت، وحسسها إنك خدت بالك.. بلاش الغيبوبة اللي على عينيكم دي.

٣٢ ـ لو غيرت لون شعرها أو نزلت راحت الكوافير عملت باديكير.. لازم تاخد بالك أبوس إيدك، أصلها مقعدتش ٦ ساعات في الكوافير تعمل شعرها أو ضوافرها عشان أمي.

٣٣ ـ خلي بالك من العيال.. حميهم إنت.

٣٤ ـ لو معاك فلوس هات فاكهة أو بونبوني وشوكولاتة.

٣٥ ـ بلاش تفرش بفول سوداني ولب يوم الوقفة بعد ما تنضف.. أنصحك بلاش عشان هتطلع تعبها عليَّ.....

٣٦ ـ لو كنتوا دابحين نضف إنت مكان الدبح واعتبره مصيف مع العيال، وهزروا بالمية وإنت بترش بالخرطوم أو الجردل.. العيد بهجة وحاجات تفرح الناس اللي حواليك بأي حاجة.

٣٧ ـ متروحش البيت يوم الوقفة ومعاك ضيوف، أخوك أو صاحبك أو أمك.. بلاش والنبي خليها الصبح.

٣٨ ـ استحمَّى وغير هدومك.

٣٩ ـ نفض إنت السجاجيد.

٤٠ ـ خبي نواياك وخططك الجنسية لحد ما تستريح.. «الإحساس نعمة واللي يكرهها يعمى».. «اشتري مني لا تقلب بخناقة».. «اصبر تاخد حاجة نضيفة».

وهم ليلة الخميس

ينطلق صوتها كمدفع رمضان مفرقعًا مفتتًا صمت الليل مخترقًا أذني العزيزة.. صائحة في عم محمد بين قوسين «أبو شهاب».. أقفز لأتفرج على الخناقة زي كل الجيران -عادي يعني- تحاصره في ركن ما في الصالة مستقوية عليه بجسدها الكبير، بينما يتراجع بجسده الضئيل إلى الوراء ويختفي الاثنان عن مجال رؤيتي.. تأتيني جمل حادة كاسرة لسكون الليل «إنت متضربوش أصلًا.. ملكش كلام عليه، هو إنت أصلًا أب؟! إنت مش معانا في أي حاجة في حياتنا، جت على دي؟! اوعى تمد إيدك عليه.. أنا بقولك أهو».. يستجمع شجاعته «أنا أبوه غصب عنك» وينطبق الصمت مرة أخرى فلا أعرف نهاية الخناقة، وأدخل في النوم مرة أخرى وأنا بحَسْبِن على أهلها جميعًا وألعن ضعف أبو شهاب.

أم شهاب تمثل بالنسبة لي الزوجة والأم الشعبية العصبية ذات الصوت الحاد، والمجاملة قليلًا الصادمة كثيرًا، خصوصًا لزوجها وابنتها.. تدلل الابن دائمًا وتعنف باقي البشر إلا في حالات نادرة..

تقف دائمًا في البلكونة تشاكس زوجها حيث هو تحت في الورشة.. عفوًا لا تشاكسه، بل هي بتطلع تلاتة جنزبيل أهله.. يطلب منها التلفون في مرة: «وهو إنت عاوزه ليه يعني؟ خايف على الرصيد مني؟ أنا معايا عدتين يا خويا.. خد».

ثم حدفت له الموبايل في الشارع من الدور التالت بنت المجنونة..

تلك المخلوقة الشرسة التي تناكف البياعين وتشتري نادرًا.. تبعث برسائل تناكة على الجارات التي يوقعهن حظهن التعس أن يخرجن للبلكونات في لحظة وجودها.. تلك الـ «أم شهاب» الشرسة مع زوجها تقدس تمامًا يوم الخميس.. تتحول لأنثى.. آه والله! وعم محمد بيصدقها !

أعتقد أن جيل أم شهاب والطبقة الشعبية هي فقط التي تتعامل مع وهم ليلة الخميس بقدسية.. قبل الزواج ستجدين الحديث يدور كثيرًا حول أهمية يوم الخميس وربطه بطبيخ اللحمة والخضار أو المحشي وقلة الأدب !

لكن الزواج كله مفاجآت وانبهارات، ومش كل اللي بيتقال على علبة العصير: إن الطعم حلو وفيه قطع فاكهة طبيعية وبيفرقع في البُق هتلاقيه جوة العلبة.. لا الاهتمام بتاع الخطوبة ولا الكلام الحلو ولا البوس اللي كان بيتسرق من ورا أهلك أيام الخطوبة هيدوم.. لا بنفس الحلاوة ولا الحماس ولا هيبقى موجود أصلًا.. لذا هتلاقي البرنس بيقضي يوم الخميس مع صحابه على الكافيهات.. ولو اتكلمتي هيبقى إنتِ خنيقة؛ ما هو معاكي كل الأسبوع وهيطلع لك بالحتة بتاعة «حقها

ولا مش حقها!» وإنه من حقه يخرج مع صحابه ومش مهم تقعدوا تسهروا مع بعض تتفرجوا ع التلفزيون تتعشوا.. تتكلموا.. بوسة لطيفة كلمة رقيقة، مناغشة ما يضرش.. يحكي لعيل م العيال حدوتة وينيمه + غمزة من العين.. لا طبعًا ده اليوم الوحيد اللي بيبقى فيه مع صحابه. تاني كده؟ اليوم الوحيد؟ لا طبعًا البيه مقضيها كل يوم معاهم، ولو مش معاهم ومعاكي إنتِ الـ٦ أيام الباقيين بيبقى قاعد ساكت قامط صامت ماسك موبايله بيشيت منفض لوجودك، وتكلميه ميردش..

- مبتردش ليه ؟

- مانا سامع.

- والله؟! مانا عارفة إنك سامع!

يوم الخميس.. يا عزيزتي العبيطة لن يكون من نصيبك.. مطلقًا. ربما تكون أم شهاب مسيطرة على أبو شهاب، لكن إنتِ يا عزيزتي هتقعدي في البيت لوحدك تقلبي في التلفزيون وترني عليه عشان يكلمك فميتكلمش، فتطولي الرنة يكنسل، بعد شوية هيقفل التلفون، تدوري على فيلم عاطفي على (أم. بي. سي. ماكس)، أو تنزلي حلقات (ديسبريت هاوس وايفز)، ولو ربنا بيحبك هيرزقك بمشهد من فيلم (أحلى الأوقات) لما كانت بتقوله «عاوزة ورد يا إبراهيم».. أو بالحتة اللي كانت يسرية بتقول لصاحباتها «أحلى حاجة في الجواز الحضن.. الرجالة بعد الجواز مبتعرفش تحضن»، وتقعدي تدوري على مشهد عاطفي من هنا وحتة من أغنية هنا على بوسة من هنا، تتجنبي حلقات الرعب على توب موفيز وأكشن وتتجاوزي حلقات التوك شو..

وتفضلـي تجمعي في مشـاهد وحـالات متقاربة منك لحـد ما تعملي حالتـك الخاصة.. تحمـدي ربنا على الفن والأفـلام اللي بيعوضوكي الفـراغ العاطفـي اللـي إنتِ فيـه.. وبعدين تلاقي نفسـك بعـد ما كنتي مبسـوطة جدًّا محبطة جدًّا «أنا كمان عاوزة من ده.. إشـمعنى اللي في الفيلم؟!»، وترجعي تدوري عليه، تلفونه مغلق، وبعدين تقومي تنامي وتسمعي البيه راجع بيغني ورايق لا يحمل مثقال ذرة من ذنب.

عزيزتي المرتبطة أو اللي بتحب أو اللي مخطوبة أو اللي ماشية مع واحد.. هو ده مصيرك في ليلة الخميس فتهيئي وتقبلي، يا إما تبقي زي أم شهاب.

زملكاوية وباحب محمد محيي.. أنا كده

أصحو من نومي.. صداع على جانب رأسي والنور يغمر الحجرة، غالبًا ما أنام والشيش موارب.. وقبل أي عملية رفع معلومات لتظهر على الشاشة الرئيسية لميدان رأسي، قبل أن يستجمع دماغي المعلومات الأساسية - أنا مين وفين وباعمل إيه هنا - بربع ثانية أجدني أغني بلا صوت «تغيب تغيب شهور غريب أحس بيك قبل اما تعود».. أبتسم لنفسي وأتساءل «أمممم محيي على الصبح؟ نهارنا فل.. صداااع آه».

بعدها بقليل أحمل في يدي كوب شاي و«حباية مسكن» وأتجه لجهاز الكومبيوتر وأسمع الأغنية كاملة ولا أعرف هل انتهى الصداع بمفعول الدواء أم بمفعول روقان صوت محيي، أتوقف كثيرًا عند «ألقاك تعود يحلى الوجود».

بالطبع دائمًا صوته رائق لكن أحيانًا يكون صوته فرحان وكثيرًا حزين، الحزن في صوته صادق يمس الحالة التي أكون فيها دائمًا.. صوت محيي دائمًا مثار للتريقة من كثيرين لا يحبونه، لكنهم لا فقط لا يدركون، أنا فقط التي تعرف وتشعر جمال صوته.

(٢)

- أنا مش عارفة انتِ بتسمعيه ازّاي؟

- ماله يعني؟ ده جميل.

- جميل إيه بس؟

- ....

أنسحب من المناقشة فهذه النوعية من المستمعين لا يجدي معها أيّ كلام.. نوعية تستمع بأذنها تحفظ الكلمات الخفيفة المرحة، تحزن مع الأغاني الحزينة بزيادة وبافتعال، تبحث عن الأغاني الراقصة التي «تِأكّل» المطرب عيش المنتشرة في الأفراح، لن يفهموا مهما حاولت معهم.. «فالإحساس نعمة» كما قال أحدهم وكُتبت على خلفية أحد الميكروباصات.

(٣)

جميع محبي محيي يتفقون على أنه مالوش حظ.. ما بيعرفش يسوّق نفسه، يغني ما يشعر به، معظم أغانيه حزينة هادئة لا تصلح للأفراح والحفلات مثل زملائه الفنانين.. كل الأسباب التي تقال تجعلني أحبه أكثر، فهو يمثلني تمامًا، يفعل ما يريد أن يفعله لا يجعل السوق يتحكم فيه أو في اختياراته.

أنا أيضًا أشجع الزمالك وانتخبت خالد علي في الانتخابات الرئاسية، وقلت لا في الاستفتاء على الدستور عقب الثورة.. تلقيت ولا أزال العديد من التعليقات الساخرة، ولكن هذا عالمي

واختياراتـي.. أنا أيضًا أحـب محيي، بـل وأفهمه جيدًا عندما يغني فهو يغني لي أنا.. أنا التي تشجع الزمالك.

(٤)

بـدأت معرفتـي بمحيـي فـي المرحلـة الثانوية، سـمعت لأول مـرة أغنية «يا هـوى» في التلفزيون تقريبًا في برنامج «أماني وأغاني»، اسـتمعت للأغنية بعدهـا مرارًا على «ووكمان» زميلتي.. وقتها لم يكن سـهلًا لأي شـخص أن يمتلك «ووكمان» خاصة في عمرنا، كان الذي يمتلكه بل ويحضره للمدرسة معرضًـا نفسـه لخطر مصادرتـه أو تعنيفه من المدرس أو الناظـر، يعتبر بطلًا، زميلتي الغنية أبوها اشتراه لها وهو عائد من الخارج أحضرته معها.. وضعت فيه شـريطًا اسـمه «أغلـى الناس» لم أسـتمع إلا لهذة الأغنيـة أخرجها وأعيد إرجاع الشـريط بالقلـم الجاف الفرنسـاوي المضلع بدلًا من اسـتخدام زرار الترجيع حتى لا تنتهي البطارية وتغضب زميلتي.. يمسني صوته وهو يستجدي الهوى أن يخبر حبيبته بأن تعود إليه.. لا يمل الاستجداء والمحايلة.. يصعب علـيَّ حقًـا وأصدقه «قوله ع اللي جـرى لي يا هوى» فـأردد لازم يقوله «قوله يرجع لـي تانـي يا هوى» فأخاطبها في سـري «ما ترجعي لـه بقى» ثم يقدم إغراءه الأخير لحبيبه «قوله جايب حنين يروي عطش السنين» لازم تعرف إنه بيحبها قوي كده.. أصدق محيي تمامًا وأعرف لماذا يستدر عطفي بهذا الشكل وأنا التي – وقتها – بلا خبرة في الحب ولا «الشحتفة» دي.

(٥)

تألـق محمـد محيي في التسـعينيات فقد أصـدر ٩ ألبومات منها ٦ ألبومـات ما بيـن عامـي ١٩٩١ و١٩٩٧ واختتمها بـــ ٣ ألبومات بدءًا

مـن ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٨، كذلك شـهد القرن العشـرين تألق «الزمالك» فقـد نال النـادي ٩ ألقاب أفريقية مقابل ٧ ألقاب للنادي الأهلي غريمه الدائـم، والـذي يعايرنا الآن بفشـلنا والـذي أعتقد أنها مجـرد عثرات وسـيعود مرة أخرى، ولا أجـد غضاضة في أن يتريـق عليَّ «أهلاوي» بجملـة «سـنظل أوفياء»، فنحن كذلـك بالفعل وأن محيـي فنان عظيم «بيفهم مازيكا» وصوته رائع.

كلما سمعت أغنية «إنتِ بتحبي الزعل» أدرك تمامًا أن محيي غناها لي أنا وحدي.. فأنا شخصية نكدية.. وأجزم « الأغنية دي بتاعتي لوحدي».

(٦)

معلومة:

يتباهـى «الأهلاوية» بالأهداف الـ ٦ التـي أحرزوها في مرمانا عام ٢٠٠٩، ولكـن لا يعـرف معظم جمهورهـم «اللي بيذلنـا» أننا فعلناها معهـم عام ١٩٤٤ فـي بطولة كأس مصر، وكانت تسـمى وقتها بكأس الملك، أعطيناهـم ٦ أهداف في مرماهم مقابل صفر..

محيي قدم فنانين آخرين كثيرين والموزع فهد، وللأسـف مصطفى كامل وعصـام كاريكا والذين انطلقوا بجماهيرية عظيمة في الحفلات والأفراح والألبومات.

(٧)

أنـا اسـمي حنان فتـاة مصرية تعيش في شـارع فيصل الشـعبي ولا ترتـدي كعبًا عاليًـا مطلقًا ولا تصـدر البوز في الصور، تـدرك أن أنفها

طويـل، لا تحب الشـيكولاتة كمعظم البنات، تتشـاجر مـع ابنتها على مشـاهدة أفـلام الكارتـون.. تحب مشـاهدة السـينما وحدهـا.. تكره مصاحبـة الفتيـات ورغيهم.. عندما يصيبها البـرد لا تتناول دواء «كده كـده البرد بياخد وقته ويمشـي»، ولا تزال ترى أن خالد علي شـخص مثالـي لحكم مصـر لكن بعد ٢٠ سـنة، ولا تـزال تؤمـن أن «الزمالك قـادم»، وتعشـق محمد محيي وتنتظر أن «يعمل ألبـوم بقى» فهي ملّت من الانتظار.

عن روايات «عبير» وعن عبير نفسها

لماذا تنتهي كل قصص الحب أو أفلام الحب عند زواج البطل بالبطلة؟ ستأتيك إجابة «رجالي» تقول بسخرية: «عشان الجواز نهاية الحب يا آنسة»، لكن الحقيقة التي أدركتها أنها كانت خدعة من كاتبي كل روايات الحب ومؤلفي حواديت الأفلام، الهدف من حبكتها على رأس البنات بأن الحياة ستظل رائعة وفي جمال قبلة رشدي أباظة لسعاد حسني، وأن سعاد نفسها ستظل محتفظة بحلاوتها وهندامها بعد الجواز، وأن رشدي سيظل مشذب الشارب ولن.. مطلقًا.. أبدًا سيتحول لصلاح منصور بكرشه في «الزوجة الثانية»، يتحرش بأخرى غير فتاته التي ثبتت الكاميرا قبلتهما سوية.

(٢)

« إحنا انضحك علينا يا بنات».

(٣)

أتذكرني في المرحلة الثانوية أخبئ نسخة من روايات «عبير» بين دفتي كتاب الوسام «بتاع الفيزيا» للصف الأول الثانوي، نتداول تلك

النسـخة فيمـا بيننا قبل الفسـحة، تقرؤها إحدانا وبعد الفسـحة تقرؤها أخرى وفي الفسـحة نتهامس على المشـاهد المفضلة والتي لا تنحسر فقـط في المشـاهد «الأبيحة» بل في الرومانسـية والمشـادات والنهاية الجميلـة.. أجلـس فـي الصف قبـل الأخيـر، فالصف الأخير مشـبوه بالبنات «المش مؤدبين» وبهمسـاتهن وكلامهن «العيب» وصداقاتهن للأولاد من الفصـول المتاخمة.. أكتفي فقط بمعرفة الرجل الآخر من خـلال روايـة عبير، أقع فـي الفخ حتى النهايـة «أصل لقعـر البير» ولا أدرك ألـم الارتطام إلا مؤخرًا.

(٤)

بينمـا نحـن نبحـث عـن الحـب والقصة والصـراع والحبكـة «ولامؤاخـذة» ذروة الحدوتة، نحلم مـع «فتيات عبير» بأن يأتينا الفرج أو فرج نفسـه أو حتى سيد، نحلم ونسـتمتع ونختلس ضحكة وهمسة فيمـا بيننـا على قبلـة تبعتها صفعـة.. بينما نبحث عن تلـك الحواديت يبحـث الأولاد عـن طبيبـك الخـاص والروايـات الجنسـية الرخيصة والتـي تتناول الجنس كغاية وهدف سـامٍ.. يتداولون نسـخ المجلات المتهرئة بينهم ويبحثـون بأعينهم عن عناوين الروايات الرخيصة على «فرشات» الجرائد.

خليل حنا تادرس من أهم كُتاب هذه الروايات ومن مواليد محافظة بني سـويف، عيّـن موظفًا فـي وزارة التأمينـات والشـئون الاجتماعية فـي القاهرة كمـا أظهرت لي نتائـج البحث عنه على شـبكة الانترنت، اشـتُهر بكتابة روايات جنسـية عديدة وبأبحاث وترجمات عن الصحة الجنسـية، بلغـت مؤلفاتـه ١١٥ كتابًـا أعيد طبـع أغلبها أكثـر من مرة،

ومن أشهر رواياته «نشوى والحب» التي نشرها عام ١٩٦٥ بمبلغ ١٠ قروش وتمت إعادة طباعتها حوالي ٢٠ طبعة؛ وهي قصة فتاة متحررة عاطفية تقودها شهواتها إلى حيث لا تدري، «وقد لاقت هذه القصة نجاحًا شديدًا» بحسب المعلومات التي جاءت عنه، وتعرف على عبود عبود الناشر اللبناني في الستينيات صاحب دار الجيل وفتح تادرس فرعًا للدار في فيصل/ الجيزة..

معلومة أخيرة: خليل حنا تادرس لم تصادر له أي رواية، على الرغم من رفع دعوى قضائية ضده في الثمانينيات، ولكن كل أعماله كانت مرخصة وعليها موافقات الجهات الأمنية، كما أنه عمل في أول حياته سكرتيرًا لمكتب الخدمة الاجتماعية في بطريركية الأقباط الأرثوذكس..

(٥)

روايات «زهور » هي سلسلة حواديت بناتي أخرى، بدأ كتابتها الدكتور نبيل فاروق مصمم الأبطال الخارقين كأدهم صبري ومنى توفيق.. هو أيضًا كتب قصص حب «ما تخرش الميّه» معظمها في رأيي منحوتة من الأفلام المصرية، معمولة بتوليفة جديدة، وكلها حب «نضيف» بدون قبلات ولا غرائز جنسية، وكانت تتحدى «عبير» وتحاول أن تهز عرشها على قلوب الفتيات أمثالي بكلمة تكتب على غلافها الخارجي: (السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجًا من وجودها في المنزل). «تلقيح كلام» على روايات «عبير» والتي كنا نخبئها عن أمهاتنا بالطبع.

لكن كنا نخبئ أيضا روايات (رجل المستحيل) ومكتبة الأسرة فلم يكن مسموحًا سوى بالمذاكرة.. كنا نخبئ حتى (ميكي جيب).

(٦)

« عبير» أخرى عرفناها في سلسلة روايات «فانتازيا» للدكتور أحمد خالد توفيق وصاحب شخصية الدكتور رفعت إسماعيل، ويبدو أن الدكتور خالد متخصص في الشخصيات المهمشة، التي لها مميزاتها وعيوبها، جعل من عبير «عبد الرحمن» فتاة عادية تمامًا لا تملك جمالًا ولا علمًا ولا جاذبية للرجال، هي فقط تملك خيالًا خصبًا ممتلئًا بالروايات التي قرأتها، مما جعلها النموذج المطلوب لتكون فأر اختبار لـ«شريف» مخترع جهاز «دي جي» والذي ينقلها إلى عالم فانتازيا، يقودها المرشد لتعيش المغامرات التي قرأتها جميعًا.. هي «عبير» التي تزوجت من شريف راضية تمامًا بعلاقة لم تقم على الحب ولكنها أحبته بعد الزواج.

هي ليست كـ«عبير» الروايات التي قرأناها، فهي واقعية وغير جذابة وتزوجت بلا حب.. سأجعل ابنتي فريدة تقرأ «عبير عبد الرحمن» أيضًا، وسأتأكد من عشقها لرفعت إسماعيل، وسأخبئ منها روايات «زهور» التي في كرتونة أمي.

(٧)

في زيارة أخيرة وجدت العديد من روايات «عبير » في كرتونة في دولاب قديم في بيت أمي، سألتني أن تتخلص منها في أي مكان أو آخذها أنا، فأصريت على الاحتفاظ بها حتى تقرأها ابنتي يومًا ما..

ليست روايات «عبير» ساذجة لهذه الدرجة، روايات «عبير» و«زهور» و«رجل المستحيل» و«ملف المستقبل» لمن لا تعرف من البنات الصغيرات تساوي كتابات «أحلام مستغانمي» بالنسبة لجيلكن الآن..

البطل في روايات «عبير» دائمًا وسيم غني يتحكم في الفتاة بدَين ما أو غلطة ارتكبها أخوها، ويجب أن تسدد هي الثمن بالعمل عنده بلا مقابل، أو ارتبطت بعقد ما ويجب أن تسدد الشرط الجزائي، تكرهه جدًّا وتنجذب إليه، ثم تنفجر ذات مرة وتقرر الابتعاد لأن «الصهباء» ابنة خالته أو ابنة شريكته توهمها بأنهما متحابان - أنا لحد دلوقت مش عارفة صهباء يعني لون شعرها إيه بالظبط والتي ورد وصفها في «مؤامرة قاسية» - يذهب البطل في جميع القصص يبحث عنها ويطلب منها الزواج، وتنتهي القصة بالقبلات ووعود الحب والإخلاص، وننام ونصحى مبتسمين «كدهون» في وش الأولاد، ونفضل نفكر في الصورة دي لحد ما ندخل الجامعة، ونقرأ وننام ونصحى مبتسمين «كدهون»، ونتخرج واحنا مبتسمين ولسه عندنا أمل في البطل بتاع «أقدام في الوحل»، ونتخطب لواحد يعني يبدو من بعيد إنه فيه جزء من البطل، قد لا يكون وسيمًا كفاية وقد يكون مش غني قوي بس بيحب البنوتة مننا.. هو قال كده.. كتير يعني، وننام ونصحى مبتسمين ونتجوز ونصحى متنّحين!

أكيد فريدة بنتي مش هتزعل مني لو خليتها تعيش الوهم زيّ مانا عشته.. هي هتكرهني بس.

(٨)

من كثرة الروايات التي «كلت دماغي» أجدني أمازح مع زوجي بعد ٤ سنين زواج «إنتَ هتقولي إنتَ غني بقى وكده وتعملهالي مفاجأة صح؟ كنت بتختبرني وتشوف إني مش طمعانة فيك.. قولي بقى، يالا»، يبص لي ويضحك واتصدم شوية على الرغم من إني متأكدة من رد فعله وأضحك معه.

اصمدي في معركة النيش!

« إنتِ عايزة تفضحينا؟!»، كانت دي كلمة أمي القاطعة لتوسلاتي ومطالبتي بأنه «مش لازم نيش».. زفافي إلى بيت ليس به نيش يعادل فضيحة كاملة الأركان بين سيدات العيلتين، سواء عيلة العروسة حيث سيتهامسوا «تحية مجابتش نيش للبت.. شوفتي يا أختي؟!»، أو من عيلة العريس «يا عيني عليك يا ابني! ضحكوا عليك ف الجوازة.. جبت كل حاجة ومجابولكش نيش.. ولا حتى نص دستة فناجين روميو وجولييت».

النيش.. ذلك الكائن الخرافي الذي يقبع في ركن مقدس في بيت أيّ ست مصرية، حاله كحال أشياء مقدسة كثيرة ليس لها معنى ولا هدف، كبرطمانات المربى الفارغة التي تسكن الرف الأعلى من خزينة المطبخ أو تستكين بإهمال تحت الحوض.. يظل النيش طوال سنوات لا يمسسه سوء إلا في المناسبات السعيدة.. عزايم رمضان، تظبيط لقاء بين بنت أخته وصديق للأسرة عشان يمكن ربنا يوفق بينهم ويجعلنا سبب جواز بينهم، فلازم الطقم المدهب وطقم الجاتوه ولازم المعالق الشيك المزخرفة حروفها عشان شكلنا يبقى حلو، «والبفتيك.. لازم البفتيييك».

انتصـرت أمـي في معركة النيـش، كما انتصرت قبلًا فـي معركة إن لازم نجيب شبكة، ومعركة إن لازم نعمل فرح، ومعركة إن لازم أحط المراية جنب الباب، البلكونة، لون الستائر.. انتصرت أمي كثيرًا لحد ما طلع جنزبيل أمي.. ساندتها خالتي في معركتي الشبكة والمراية.. كما أشرفت إحدى سيدات الأسرة على تحديد مكان النيش ذات نفسه، وهو أمر -لو تعلمون- عظيم.. وأسندت أمي لأختي مهمة رص النيش، وهو أمر يحتاج لفن وذوق وخدع بصرية كثيرة لخداع العدو (أهل العريس)، إننا جايبين حاجات كتير وأطقم أطقم أطقم.. آه والنبي يا جماعة مقولكوش!

بعد أول شهر جواز صدمت أمي لما لقتني غيّرت رصة النيش وطلعت منه حاجات كتير أستخدمها.. انتهكت قدسيته يا حرام! بل إنني تجرأت وحركت مكان المراية. نرجع للنيش اللي تحوّل معايا إلى نملية بشيل فيها الأطباق الزيادة، مش مجرد حافظة للأطباق والأطقم وشنطة المعالق للضيوف والمناسبات.

لا أعرف من اخترع النيش.. ولكنني أريد أن أبعث له برسالة قد تمس أهله بسوء، ولكن إحقاقًا للحق فمخترع النيش لا بد أن يكون سيدة تحب الامتلاك، وبخيلة، وغاوية منظرة وقنعرة كدابة.. وأتوجه برسالة أخرى للبنات اللي على وش جواز، بلاش نيش واصمدي في حربك مع أمك، بلاش تخبيي خبيتي، ولو اتجوزتي خلاص وعندك نيش متعزّيش اللي فيه على نفسك وعلى عيالك، استخدمي كل حاجة فيه.. اتمتعي بيه، ولو حاجة اتكسرت فداكي، ما دام كله مكتوب في القايمة يبقى موقفك القانوني تمام.

التحرش: المسامح مش كريم

(١)

لـم يكن تحرشـا.. مـا رأيته في الفيديـو الذي صور فتـاة عارية، على جسـدها أثـار كدمـات وجروح تسـير عارية وسـط أفراد أمـن.. لم يكن تحرشـا.. هو فعل عنف مارسـه مجموعة من الشـباب تجـاه «إحداهن» تجـاه كائـن مـن وجهـة نظرهم أضعـف وأقـل مرتبـة منهم.. هـم يرون الفتاة أو السيدة بني آدم في الحلقة الوسـطى بيـن الرجال - البني آدمين الحقيقيين - و الحيوانات.. الذين جردوها من ملابسها لـم يكونوا ينوون لمسها أو اغتصابها، هم فقط استمتعوا في فعل جماعي وبشكل هستيري في تعريتها من ملابسـها وسـحلها على الأرض، لمجرد كونها فتاة نزلت إلـى الميـدان لترقص حتى يا أخي.. لنفترض أنهـا كانت ترتدي « بادي» مجسما وبنطلونا جينز وبلا حجاب.. هل كان هذا يبرر كل هذا العنف ؟

(٢)

أنا أم لطفلة في الخامسـة من عمرها.. سـتصير يوما فتاة جميلة على ما أعتقد، سأحكم قبضتي على يدها كثيرا الفترة القادمة إذا خرجنا سويًا.

(٣)

منذ أربعة أيام أصدر المستشار عدلي منصور قبل أن يترك «الاتحادية» قانونا بتغليظ العقوبات على المتحرش لتصل إلى تغريمه خمسين ألف جنية، الحل ليس في سن القوانين بل تفعيلها.. فنحن في مجتمع يعتبر الحديث عن معاكسة أحدهم للزوجة أو الأخت فضيحة، فمن المؤكد تماما «أنها هي اللي غلطانة» و«إيه اللي نزلها التحرير وسط الزحمة» أو طبعا «ابقي البسي واسع يا هانم وانتِ نازلة»، دائما ما نكون نحن السبب، نحن المخطئات جالبات العار للأسرة الكريمة التي هي نفسها الأسرة التي تربي الذكور، على أن التحرش له دائما مبرر وليس مجرَّما كالسرقة والقتل والنصب، التحرش في أوساط الذكور أصحاب السن الصغيرة بتوع المدارس، دليل على النضج والتباهي وسط الأقران والشلة، بأنه لمس واحدة أو قالها كلمة عيب جرحتها، التحرش عندنا يعني بقيت راجل وبتعرف تجرح أنثى.

(٤)

يستوقفني كثيرا مشهد الفتاة عارية تماما تسير بين أفراد الأمن، لماذا لم يخلع أحدهم قميصه ليستر عريها ؟

(٥)

الخوف من الفضيحة هو الذي يلجم لسان السيدات وعدم المطالبة بمعاقبة المتحرش بها.. فهي دائما ما تكبر دماغها أو تغير مكانها إذا كانت في مواصلة فمن سيصدقها، من سيقف إلى جوارها، كثيرات رفعن أصواتهن وطالبن بمعاقبة الجاني، فتأتي النصائح «خلاص

المسامح كريم»، أو ينظرون إليها ويديرون رءسهم أو يطالبنها بالصمت «ربنا أمر بالستر» ستر مين يا كابتن هو أنا اللي غلطت؟ أنا ضحية حضرتك.

(٦)

دراسة عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية تشير إلى أن أكثر من ٩٠٪ يتعرضن للتحرش سواء باللمس أو اللفظ أو النظر، وفي كثير من الحالات يتطور الموضوع ليصل إلى اغتصاب وتجريد من الملابس كما حدث في ميدان التحرير، أكثر من مرة في العامين الأخيرين تحديدا.

٩٠٪ فقط؟ ده ما فيش واحدة أعرفها إلا وتم التحرش بها.

(٧)

هو بالتأكيد مجتمع ذكوري، ذلك الذي يسب الرجل غيره بعضو في جسد المرأة.. ما الذي يجعل هذا العضو مدعاة للسب والإهانة؟ ما الذي يجعل كل الشتائم تنهال على رأس أم الطرف الآخر لمجرد أنها أنثى؟!.. في الشام يسبون الرجل بأخته على سبيل التغيير عن باقي الدول! لكن تبقى الأنثى هي دائما في ثقافتنا نقطة ضعف إذا جاء وقت الإهانة.

(٨)

أنظر إلى مقاطع الفيديو الأخير وأحاول أن أداري شاشة الكومبيوتر عن عيني ابنتي التي تلعب قريبة مني.. يشد انتباهها الصوت المنبعث..

أكتم الصوت عنها، أنظر إليها خائفة عليها وأتساءل : يا ترى أمَّا تكبري كام واحد هيلمسك يا حبيبتى ؟

« يـا بنـات يا بنـات يا بنات.. اللـي ما خلفش بنـات ربنا رحمه في البلد دي ».

رسالة تأخرت ٤ سنوات

رسالة مهمة ملزوقة على باب الحمام:

«زوجي الحبيب.. صباح الخير. عارفة إنك صحيت لقيتها جنبك، وف نفس اللحظة اكتشفت إن أنا مش موجودة.. أكيد حسيت بيها بتنكشك وبتزن عشان ماما مش جنبها وإنها مش في سريرها.. وأكيد فهمت إني نقلتها من أوضتها جنبك وإني نزلت.. أكيد خدتها من إيديها ودورت معاها عليّ في الشقة ملقيتنيش.. أنا هفهمك، مع إني عارفة إنك مش في وعيك وإنك مصدوم عشان سبتهالك ونزلت.. أنا عايزة آخد منكم أجازة إنتو الاتنين.. مش معقول كل مرة آخد أجازة تبقى هي معايا برضو ماسكة فيّ زي التوأم الملتصق، ده أنا وأنا بتفرج على التلفزيون بتبقى قاعدة في بُقي يا أخي، أو لو أروح أقعد عند ماما شوية هي برضو معايا.

ليه مفيش مرة إنت وهي تروحوا في حتة سوا من غيري.. تسيبوني أعمل أي حاجة لوحدي إن شالله آخد دش براحتي من غير نخبيط على باب الحمام كل شوية «يا ماما فين الألوان؟ بابا مش عايز يجيبلي الكارتون»، ليه مفيش مرة تاخدها في أي ناحية؟ في أي اتجاه؟

حبيبي: إنت أكيد صاحي مصدوم ومش مستوعب اللي حصل، إنكم.. إنت.. وهي.. في البيت.. لوحدكم، زائد إنها عمالة تعيط دلوقت، أو لو صاحية مودها حلو بتزن.. آه ما هي ساعات بتبقى صاحية رايقة وساعات لأ.. بص هتلاقي عندك الهدوم على حرف السرير هتلبسها وتوديها الحضانة، ومتنساش تاخد معاك فطارها اللي في شنطتها محضر هولك برضو جنب الباب.

أما أنا فمن حقي أنزل من البيت براحتي أركب في المواصلات مستقلة بذاتي شوية.. مش لازم أركب تاكس عشان منتبهدلش كل يوم أنا وهي، أنا النهارده هركب ميني باص أو أتوبيس.. زي زمان.. وهنزل قدام الشغل على طول، مش هروح الحضانة الأول وبعدين أروح الشغل.. النهارده هعدي على بتاع الجرايد أشتري جرايد ومجلات، وهشتري فطار بروافة مش بسربعة، وأروح الشغل وبعدين أنزل أخرج مع صحباتي.. اعمل حسابك هترجع تاخدها من الحضانة توديها درس الباليه، يعني هتلغي صحابك النهارده معلش.. وعلى فكرة مش هرد على أيّ تلفونات منك أو من أمي.. اتصرفوا كأني مش هنا.

حبيبي.. أنا هرجع متأخرة، يعني تعشّيها وتنيمها، لأني ممكن أحضر سينما مع صحابي، ولو مش رايحين هروح لوحدي.. بقالي كتير مرحتش سينما من غير زن، والّا تقولي في أهم المشاهد «وديني الحمام يا ماما.. بسرعة يلا»، مش عارفة ليه مفيش «وديني الحمام يا بابا»، المرة دي هخش لوحدي.. هتفرج على أي فيلم.. وحياة أمي لأخش سينما.. هه بس.

طبعًا كان نفسي أعمل زي «ذات» لما راحت إسكندرية قعدتلها يومين عند صاحبتها وحبيبها الأولاني، لكن أنا طبعًا مينفعش أعمل كده، عشان لازم أرجعلك بسرعة على بالليل عشان هتكون جبت آخرك معاها.. وكان نفسي أعمل زي فيلم «خرج ولم يعد»، بس ربنا مبيسيبش يا حبيبي وهيحاسبني إني اتخليت عنكم.. متقلقش أنا راجعة.

ويا ريت يا حبيبي لو عجبتك التجربة إبقى قولي عشان نكررها تاني.. يعني ممكن نعملها مرتين في الشهر.. أسيبك بقى تواجه الزّن والرخامة الصباحية، ربنا معاك.. بس على فكرة، هي شوية وهتفك.. ممكن تنفخلها بالونة أو تخليها تحط روج (روز) من (الميك آب) بتاعي اللي في الدرج.. واوْعِدْها لو سكتت هتجيبلها شيكولاتة.. باي».

أم حمولة طفل واحد

تجلس أمامي متعفرتة متنططة زي الفراشة الصّغنتتة.. وببعض الشيكولاتة التي تتناولها «غصب واقتدار» رغمًا عن أنفي تتحول إلى فراشة «مهيبرة» تحوم حولي، تركب كتفي تتسلقني كجزء من أثاث البيت، عادي يعني.. بيقولك الأطفال أحباب الله.. وأنا معنديش مشكلة في الكلمة دي، لكن أعترض على صيغة الجمع، فأنا أوافق أنهم أحباب ربنا، لكن بالنسبة لي « طفلة واحدة تكفي كي أحبها».. خصوصًا وهي نايمة بتبقى لطيفة قوي.

فريدة بنتي عندها ٤ سنين وعليهم شهرين من الزمن هدية -وكأي طفلة- مجنناني، لكن المشكلة أمَّا آجي أشتكي -كأي أم برضو- «مطلعة عيني ومغلباني ومش عارفة أعمل حاجة منها» آلاقي الإجابة الفظيعة الحاسمة، والتي تقال وكأن فيها الخلاصة : «هاتي لها أخ كمان»!

طبعًا الحل ده نابع من منطق إن العيال بتلهي بعض وبيلعبوا سوا وهيتشغلوا عنك.. والنبي؟! إيه العبقرية دي؟! هو اللي بيقول الحل ده بيبقى مش فاهم إني هقعد أول ٣ شهور مبنامش وإني هتشغل أكتر

في مشـاوير التطعيمات والدكتور وأتلخبط بيـن خافض الحرارة وماء غريـب؟! هـمّ فاكرين إني أول مـا أولد الطفل التانـي هينزل يلعب مع فريدة على طول؟! مش فاهمين إن فيه تمن هيتدفع؟

حتى لو عديت مرحلة أول سـنتين والطفل التاني بقى بيلعب.. هو فعـلًا مش هيتخانقـوا مع بعض ويصرخوا ويضربـوا بعض؟! هـم مش هيبقوا محتاجين أعصاب وخدمة ووقت دوبل؟!

«خاويـه».. الحل الشـنيع لشـقاوة الطفل الأول، ولـو حتى جبت التانـي وبقوا أشـقيا همـا الاتنين أجيـب التالت وأعيش في مستشـفي المجانين؟

سـتات العيلة الكبـار أول دعـوة -أو لعنة حسـب مفهومي- إلهي يعوض عليكي وتخاويها! ماشي معنديش مشكلة في الدعوة، بَعدّيها، لكـن يتحول الموضوع لسـؤال: مش ناوية تخاويهـا بقى يا بنتي؟ فأرد عليهم: أنا حمولة واحد راكب.

وأضحـك، وأمّا الموضـوع يزيد ويتحول لإلحـاح أقولهم: «مش هجيـب تانـي.. لو ربنا رايـد هيحصل، لكن أنا مش عايـزة يا جدعان! إحنـا متفقيـن على كده»، فيبـدأ الحوار بلهجة تانية هـذه المرة: «حرام عليكي تعملي فيها كده! ذنبها إيه تعيش وحيدة؟».

بسسسسسس كفاية.. أنا حرة يا جدعان! مش عايزة طفل تاني! عايزة أركـز فـي تربيتهـا بدماغي وبفلوسـي وبوقتـي.. عايزاها تبقى أحسـن وهـي لوحدهـا.. مالهـا الوحدة؟! مـا هيبقى ليها صحاب أحسـن من الإخوات! وأنا معاها وهراعيها.

هبعد عن أسباب زي: إحنا هنشيل ذنب إننا جبنا طفل للبلد دي، أو حرام إننا جبناهم للدنيا أصلًا.. مش هقول كده طبعًا..

ففراشتي اللي دايمًا مزأططة وبتهفهف عليّ وبتركب على قلبي وأنا نايمة أحلى حاجة حصلت لي، ومش ندمانة عليها ولا هحسسها يوم إني شايلة ذنبها.. أنا بس من حقي إني مشيلش ذنب رقم اتنين لو جِه، لأنه لو جِه هرميهم الاتنين من الشباك، وساعتها هحس بذنبهم فعلًا.

ما تجيبيلوش كنافة يا سعاد!

مشهد ١ (نهار داخلي - البيت)

هي بتصحى من النوم تصحِّي الواد وتلبِّسه عشان باص المدرسة، والكثير من «ياض دخّل إيدك في الكُمّ.. بطّل شقاوة، يلّا يا حبيبي، هات رجلك، البس الشراب.. سيب شعر أختك...»، وتغيِّر البامبرز للبت الصغيرة وتشيل شنطتها وشنط الغيارات والمدرسة، وتنزل جري تركِّب الواد الباص وتركب هي للحضانة، تسيب البت فيها وتجري على الشغل اللي دايمًا بتوصله متأخرة ربع أو نص ساعة.

مشهد ١ مكرَّر (نهار داخلي - البيت)

هو يصحى بعدها بساعة، يقوم ياخد الدش ويغرَّق الحمّام ويسيب معجون السنان مفتوح ويلبس ويسرَّح شعره برواقة ويرشّ البارفان، يهمّ بالخروج من الأوضة، يرجع تاني يبص على شعره ويعيد سبسبة خصلة فوق ودانه.. يمسح جزمته ويختار لون الشراب بعناية، يُلقِي

نظـرة أخيرة على جماله في المراية، يغادر، يصل إلى شـغله، ويمضي حضورًا في وقته تمامًا.

مشهد ٢ (نهار خارجي)

هـي تعبانـة، تطلع تجـري من الشـغل، تجري على حضانـة البنت وتعدِّي بالتاكسـي على مدرسـة الـواد، تروح البيت ومتنسـاش تجيب عيش عشـان السـحور، وتجيب كيس بامبرز عشـان خلـص.. توْصل البيـت وهـي هتموت مـن الحَـرّ والتعب، تدخـل تحمِّي الـواد الأول وتغسـل للبنت وشّـها وتغيَّرلها البامبـرز وتحطّلهم أكل سـريع.. تغيَّر هدومها وتعلَّق على الأكل اللي كانت محضَّرة جزء منه بالليل.

مشهد ٢ مكرّر (نهار خارجي)

يطلـع من الشـغل، يروَّح فـي المواصلات ويوْصـل البيت، يدخل يلعـن فـي الحر وفي الزحمة، ويخشّ ياخد دُشّ وينامله شـوية لحد ما المغرب يـأذن.. بينما هي في المطبخ أمام البوتاجاز والفرن، وحاسَّـة بالعرق بيشُـرّ علـى ضهرها، البت تعيَّط، تطلّع فُمّ من الغسـالة وتخشّ تنشِّـف الحمام وراه، تقطَّع السَّـلَطة وهي بترضَّع البت «يا واد اسـكت دلوقـت.. هنعمل (الهوم وورك) بعد الفطار.. لا يا حبيبي إحنا هنفطر أنا وبابا عشان صايمين.. لمَّا تكبر هقولك يعني إيه صيام، يا ابني بطَّل زن وأسـئلة ؛ أنا تعبانة».. تتجه إلى المطبخ، تظبّط اللمسـات الأخيرة بينما البرنس نايم تحت المروحة، إن لـم يكُن التكييف.

مشهد ٣ (أذان المغرب داخلي)

هي : قوم يا أخويا يلّا عشان نفطر، الأذان هيدّن أهه.

هو : ....

هي : تعالَ خد مني الأطباق وخد الميَّة.

يتجه إلى التلفزيون، يغيِّر القناة على قناة تذيع مسلسله المفضَّل أو ماتش من بتوع كأس العالم، الواد يعيّط: ماما.. بابا غيَّر سبيس تون، أنا عايز كارتون.

هي : معلش يا حبيبي، هشغلك الكمبيوتر دلوقت.. يا فتحي تعالَ خد الميه.

وهكذا.. هو لازق في الكنبة وهي لايصة بالعيال وبتغرف، ومع آخر طبق يتجه إليها وياخده منها ويقولها: ما أنا كنت جي أهو.. فيه حاجة تاني أجيبها؟

يقعد ياكل وهي عمالة تأكّل العيال، يا دوب شربت شوية عصير وهو ما شاء الله مسح طبقه وسابه وقام! بعد الأكل تتجه هي إلى المطبخ، تلمّ الأكل وتشغَّل للواد فيلم كارتون وتنيّم البت وتعمل للبرنس كوبَّاية شاي

مجبتيش كنافة يا سعاد؟

تتجه إلى التلاجة تجيبله طبق كنافة عشان عارفة إنه بيحبها، وتسيبه مع التلفزيون، تخشّ تعمل ساندويتش وتبدأ تغسل كوم المواعين، على ما تخلّص يكون الواد خلّص الفيلم، والكنافة خلصت، لسه

هتقعـد فتلاقـي مهمّة (الهـوم وورك)، وبدل ما تتفرج على المسلسـل اللي بتحبه ومتابعاه تلاقي نفسها عمالة تعلّمه وتعرّفه إزّاي يكتب.

مشهد ٤ (داخلي قرب الفجر)

ينام الولد، ويقترب السحور، تنشر الغسيل بسرعة وتحضر السحور وتشيله بعدها، وتغسـل الطبقين وتملا المية وتلـمّ اللعب ورا العيال، وتاخد دُشّ وتروح تنام الساعة أربعة عشان تلحق تصحى على سبعة.

معلومة للكباتن:

دراسـة حديثـة أجراها فريق مـن الباحثيـن البريطانيين فـي جامعة كامبرديـج، بتقـول: «إن الرجـال الذين يشـاركون في تنظيـف المنزل وترتيبه يشعرون بالسعادة أكثر من غيرهم».

بالطبع شـغل البيت مُهلِك بشكل عامّ.. لكن المساعدة بأيّ حاجة هتفرق معانا كستّات يعني.. أيّ حاجة يا كابتن وإحنا هنرضى.. يعني تِذَاكـر للـواد أو تشـيل الأطباق معاها أو تلمّ إنت الغسـيل أو تشـطف المواعيـن وهـي بتغسـلها.. اعمـل إنـت شـاي لنفسـك.. أيّ حاجة، ارحموا أموات أهالينا.

عزيزتي الفتاة اللي لسه ما اتجوزتش : وحياة أمي أنت في نعمة!

عزيزتي الفتاة أحب أقولك إن أكبر حماقة هي الجواز.. أعظم وأجمل حماقة.. آه أجمل طبعا.. الجواز حلو حبة صغيرين وسخيف وابن ٦٠×٧٠ حبات كتير.. لا كتير قوي، بصُّوا هو منيل بنيلة على طول إلا فيما ندر.

« انتوا فاكرين أن الجواز بوس وأحضان؟» هذا هو السؤال التهكمي الذي طرحه سامح (شريف منير) في فيلم « سهر الليالي» على أصحابه ليلة هروبهم من زوجاتهم إلى الإسكندرية فرارا من الجواز ومن عقدهم ومشاكلهم.. لم تأت الإجابة حتى نهاية الفيلم، ولكننا نعرف أن الزواج ليس فقط «بوس وأحضان!»، بل هو خناق على حاجات تافهة بسبب مشاكل جوانية صعب نعبر عنها، فبنتلكك لبعض وتبقى خناقة على أنه نزل من غير ما يقولك صباح الخير أو نسي يجيب بامبرز وهو جاي، أو أنكِ بقالك ٣ أيام ما بتطبخيش من قلة النوم عشان الواد مسهرك.

عزيزتـي العانس أنتِ في نعمة.. واثقة تماما مما أقوله، ولو خيرت أن يعود بي الزمان مرة أخرى لاخترت العنوسة بقلب سليم.. صحيح مش هاسيب جـوزي وننفصل مرتبطيـن ببعض كأصحـاب لكن مش هاتجـوزه مش هاتجـوزه.. وما تكلمنيـش عن الخلفـة والأمومة أنتِ مـا جربتيـش تغيري لطفل البامبرز السـاعة ٥ الصبح ثـم تاني ٥ ونص ثـم تالـت السـاعة ٧.. الأطفال في الشـهور الأولى بيبقـى ربنا فاتحها عليهـم.. ما جربتيش إنك تخشـي في باب الأوضة مرتين بوشـك من كتـر الدوخـة وقلـة النوم، بينمـا جوزك نايـم جوه في الأوضـة لا يريد مشـاركتك سـهرة كل يـوم التي لا تنتهـي.. ما جربتيـش تقمي تطبخي وانتِ شايلة البيبي على إيد والإيد التانية بتقلب التقلية أو بتدوس على زرار الخـلاط تعصـر الأوطـة.. ما جربتيـش إنك مـا تعرفيش تاخدي دوش إلا لما جوزك ييجي يتكرم ويشـيل البيبي لمدة ربع سـاعة وينده عليـك خلالـها ٤ مرات «البت قشـطت فين البافتـة؟» أو «بتعيط اعمل إيـه؟» وتطلعي بسـرعة تنجـدي البيبي من العياط.. خلفة إيه يا آنسة؟ صلي ع النبي.

عارفـة تمامـا أن الجواز بالنسـبة لكِ هـروب من تحكـم باباكي أو رخامـة مامتك.. أنا شـخصيا كانت من أهم الدوافـع لجوازي هو أني اعمل بيت بتاعي أنا.. أنا اللي أتحكم في تفاصيله وفي نوع الأكل اللي هاكلـه، وهاحط فيـن الترابيزة واخرج إمتى وارجـع إمتى.. ما أنكرش أن دي ميـزة رائعة؛ لأنها الحالة الوحيدة اللي تقدري تسـيبي فيها بيت أهلـك، لمـا تكوني رايحة بيـت جوزك المنـدوب السـامي البريطاني الجديـد بدلا عـن أهلك.. وانـتِ وشـطارتك وربني هتعرفـي تعملي

اللـي انـتِ عـاوزاه بما لا يخالف شـرع الجـواز ولا لأ وابقـي قابليني لـو عرفتِ تقرري هترصي النيش بتاعك إزاي يوم ما تروحي تفرشـي بيتك ..سـتواجهك أمـك بحقيقة علميـة وبوجه حـاد « أومّال خالتك جايـة تعمل إيه؟ دي عليهـا رصة نيش.. ما تزعليهاش وسـيبيها ترصه زيّ ما انتِ عايزة بلاش فضايح».

ممكـن تغيـري ف بيتك بعـد كده، لكن زيـارة واحدة مـن أمك أو حماتك سـتكون كفيلـة بإعادة توزيع العفش مـرة أخرى على هواهم، لأنك ما بتفهميش في رص العفش أو في الذوق العام.

عزيزتي الفتاة انتِ في نعمة : بتروحي وتيجي بطولك من غير شنطة غيارات ومن غير عيّل على كتفك أو عيل بتجرجريه وراكي وفْ إيدك التانية شـنط الخضار والعيش والطلبـات.. ولو جيتي تتكلمي هتلاقي العبارة الصادمة : « ما كل الأمهات كده وشغالين ومخلفين بدل العيّل ٣ و٤».

عزيزتـي الفتاة : وحيـاة أمي أنتِ في نعمة.. طبعـا مش هتصدقيني بس عارفة اللمبي في فيلم اللي بالي بالك لما قالها : اللمبي كان فاضل له يومين وصورته تنزل على الجنيه.. بس يا خسارة دخل في بوقه واحد « هو ده إحساسـي بعد الجواز.. المشـكلة مش في الزوج المشكلة في سيسـتم الجواز نفسـه وفي رصة النيش.. يا تتجوزي وترصيه بنفسـك يا هيترص لك بمزاجهم.. أنا رأيي : بلاش نيش أصلا.. يولع النيش.

رسالة عيد جواز على باب التلاجة

حبيبي وزوجي.. صباح الخير

«النهارده عيد جوازنا الرابع كل سنة وأنت طيب.. طبعًا تلاقيك مش فاكر، وأنا مش زعلانة ولا بافكرك، عارفة إنك مشغول والله، أنا حبيت أقولك كل سنة وأنت طيب وأنت بتفتح باب التلاجة كل يوم كالعادة، وأنت بتشرب من علبة اللبن من غير ما تصب في الكوباية، مع إني نبهتك كتير إن ده غلط وما ينفعش.. المهم صباح الفل يا عزيزي.

يا ترى حصلت لك طفرة جينيّة وافتكرت على غير العادة؟.. وأصحى ألاقيك باعت لي بوكيه ورد على الشغل موصي عليه من امبارح مثلًا.. أو حاطط لي تحت المخدة هدية.. إنت ليه بطلت تجيب لي هدية وبطلت تاخد بالك أنا قصيت شعري ولا صبغته ولا جبت بيجامة جديدة ولا حتى شعري منكوش.. ما بقتش تهتم يا بيبي زيّ الأول.. فاكر أيام الخطوبة أما جبت لي الحلق الفضة؟ ولا لما كنت بتجيب لي شيكولاتة على طول وناكلها سوا وأشيل الورقة.. يا ترى هتخرجني في حتة؟.. أنا مش باقولك خرجني، أنا نفسي

إنت من نفسـك كـده تقولي إنك حاجز في حتة مـن بدري وعاملهالي مفاجأة.. عارفة إني باحلم طبعا.

فاكـر أمَّا رُحنا حفلة منير تاني يـوم جوازنا في الأوبرا والدنيا كانت زحمة؟.. طبعا فاكر إننا ما قضيناش شهر عسل أصلًا.. ودي كانت أول وآخـر حفلـة نحضرها، هو احنـا ليه ما بقيناش نخـرج وليه ما رحناش حفلات تاني؟ عارفة إنك أكيد مشغول، بس أنا زهقت يا بيبي، زهقت واللـه، أنا كمان ليَّ حـق عليك، مش هينفع نقضـي عمرنا كله بنجري على فلوس عشـان مدرسة البنت وعشان نغيّر ترابيزة التلفزيون، ونغير التلفزيون وأجيب سـتاير جديدة وعشـان نصلح الحنفية وإحنا نفسـنا مش بنتقابل غير كل أسـبوع مرة.. تعالَ هنـا.. ما صلحتش ليه الحنفية لحد دلوقتي؟ هو لازم كل حاجة أنا اللي أعملها؟ أنا اللي أودي البنت الحضانة قبل شـغلي وأنا اللي أوديها للدكتـور برضه لوحدي، وأديها الدوا، وترجَّع عليَّ لوحدي؟ ليه أنا اللي باعمل شـغلي وشـغل البيت وباهتم بالبنت حتى وأنا عيانة.. بس المرة دي أنت اللي هتودي كرسي التسـريحة للمنجد عشـان يصلحه، وهتصلح الحنفية يـا بيبي، أنا مش هاصلح حاجة تاني.. المية السـخنة مش بتنزل من الحنفية.. السـكس بلف بايظ يا روحي.

كل سـنة وأنت طيب، ربنا ما يحرمني من دخلتك عليَّ، آه صحيح بمناسـبة «دخلتـك عليَّ».. هـو حضرتك مش هتبطـل تدخل بالجزمة لحد جوه؟ مش هتبطل تلخبط شبشـب الحمام بشبشـب بره؟ ليه لحد دلوقت مش قادر تميز بين فوطة الوش وفوطة الإيدين والبشـكير؟ ليه بتطفي سجايرك في حوض المطبخ وسط المواعين؟ ليه؟

ملحوظـة: أنـا احتمال كبيـر أخرج مـع صاحباتى السـبت الجاي، وأسـيب لـك البنـت توديهـا أنـت الحضانـة.. اسـتحملها أنـت يـوم لوحـدك مـن أوله لآخـره.. لبسـها وأكلّها، اسـتحمل زنهـا ورخامتها فـي المواصـلات، بـس هتضحك لك برضه فـي لحظة مـا.. أكيد ربنا هيهديهـا وهتضحـك لـك.. بس بعـد زن وهاتلـي واعملـي وحطلي روج واعملـي قُطّتين مش ديل حصـان وزنْ ورخامة وعايزة الجاكيت الفوشـيا عشان يليق على الشـراب وزنْ.. يالا بقى عيشوا حياتكم سوا وأنـا هاقفل تلفوني، فاكـر أما قلت لي بهزار إننا لـو اتطلقنا، إنت اللي هتاخد البنت.. خدهاااا يوم واحد.. خدها بقى.

ملحوظة ٢ : ربنا ما يحرمنا من بعض.

زوجتك الحبيبة / حنان».

معا لمنع عربات السيدات في المترو

(١)

«تعالي هنا يا مدام اقعدي ناحية الستات وخلّي الرجالة جنب بعض» انظر حولي أجدني جالسة أنا وابنتي بين ٣ رجال على كنبة في سيارة نقل متقنلة على طريقة بوكس الشرطة، وهي سيارة مشهورة في شوارع مدينة ٦ أكتوبر.. كنت قد صعدت إلى السيارة وجلست بين الرجال وفي مواجهتي ٣ سيدات.. نظرت إلى السائق «وإيه يعني ما أقعد وسطهم المكان واسع أهه.. مش قايمة» ينظر لي مستهجنا فعلتي ويصعد رجلان ليجلسا بجوار السيدات الثلاث اللاتي يرمقني باستغراب، أشيح وجهي وتنطلق السيارة في رحلتها القصيرة حيث بيت أمي.

(٢)

كنت في مدرسة مختلطة أي نعم، لكن كان اختلاط بس على لافتة المدرسة «الثانوية المشتركة»، بينما في الواقع كانت فصول البنات منفصلة عن فصول الصبيان.. كنا نلتقي فقط في أوقات الفسح يقفون همّ في شللهم ونحن في شللنا، أمّا الفاجرات ذوات الوجه المكشوف

فكـن يقفـن فـرادى مع ولديـن أو ثـلاث منهم.. كنا نحسـدهن سـرًّا ونشـتمهن علانية.. أمَّا فـي وقت الانصراف فكنا نختلط بشـكل أكبر في المواصلات أو تمشيات وقت ما بين المدرسة ومعاد الدرس.

يصر أسـتاذ عبد الواحد على نظرية الفصل بداخل مدرسـة مشتركة، وكانت النتيجة أننا نرى البنت التي تتحدث مع الأولاد في وقت الفسحة هي بنت مش محترمة.. وأن البنت اللي مرتبطة بواحد وبتحبه - حتى لو حُـب عيال وقتها - هـي بنت مش متربية، أسـتاذ عبد الواحد خلاني في حصـص المواد الاختياريـة، التي كان ينضم لنا فيهـا بعض الأولاد ليتم شـرح المادة لعدد قليل من الطلبة في مـكان واحد.. خلاني أقف لازقة في الحيطة وخايفة أقول أيّ سؤال عشان ما حدش يضحك عليّ.. كنت بأخاف أتكلم واسأل قدامهم على الرغم من إني شاطرة، لكن حضرتك دي كانت بتبقى حصص جيولوجيا وجغرافيا و.. و.. وأحياء.

(٣)

عربية السيدات في المترو هي كارثة أخرى لما يمكن تسميته بفصل ناس عن بعضها، بغرض حماية الطرف الضعيف من تحرش ومضايقة الطـرف الأقوى.. أتفهم تماما أن هناك كثيرات يفضلن ركوب عربات المترو النسائية، وأنه كثيرا يعتبر حماية فعلية للبنت أو الست التي ترى أن التصاقها بسيدة أخرى أو بفتاة أخف وطأة من لمس أحدهم لها في العربة المختلطـة.. الانزواء والاختفاء بين مثيلاتنا ليس حلا لمواجهة المشكلة بل هو أحد أسبابها..

ابتعاد طرف عن آخر.

إحساس طرف بالضعف والبحث عن قوة وسط الجماعة المتشابهة في عربة المترو.

إحساس طرف آخر بالقوة والتفوق، وأنه يستطيع بنظرة أن يخيف أنثى وتذهب إلى قريناتها تلتجئ لهم تجد بينهم الأمان.

الفجوة التي تزيد يوميا بين الطرفين.. ممكن حد يفتكر أني بأبالغ.. وأن الموضوع لا يتعدى عربات مترو، وفصول منفصلة ومدارس منفصلة.

لكن هي جزء من المشكلة أو دليل على وجود مشكلة من الأصل..

لماذا لا يكون هناك سيارات مشتركة ومختلطة وفصول مشتركة؟ بل وستأخذني الجلالة وأقول دكة مشتركة يجلس عليها ولد وبنت؟ بكل مودة وتفهم وثقة من البنت واحترام من الولد لحدود جسده وجسدها؟؟

عربات المترو دليل على وجود أزمة في التربية وعنصرية في التعامل على أساس حماية طرف من قبل وزارة النقل مشكورة، وهي أيضا من ناحية أخرى ترسيخ لمبدأ التحرش بشكل عكسي.. فحينما تختفي الأنثى بشكل ما ولوقت قليل في حياة الولد فسيرى أنها «لقية» و«هيييييه بنت» عندما يختلط بها في مواقف أخرى.

الحل مش في فصل الأنثى عن الذكر في المواصلات ولا في فصول المدرسة ولا على كنب الميكروباصات، الحل في التربية.. نفهّم الراجل أن البنت زيّك.. جسمها وحدوده يجب أن تحترم، ليس

الحـل في الابتعـاد بل التعامل بشـكل طبيعي بوجود أنثى بجسـدها.. بصوتها، بألوان لبسها.. بتفاصيلها..

أعلـم أني رومانسـية، ولكن عربية السـيدات تنافـي المنطق وتعزز المشكلة..

أعلـم أنـي أطالب بغلـق باب تجـده الكثيرات بـاب رحمة، ولكن لنتأمـل المشـكلة جيـدا.. عربـة المترو ليسـت الحـل ربـوا بناتكم ما يخافوش وولادكم يحترموا البنات.

(٤)

انتشرت مؤخرا على موقع فيس بوك ورقة ملصقة على باب مدرج بكليـة فـي جامعـة المنصورة تقريبـا، وبتوقيع مـن العميد أنـه «ممنوع جلوس الفتيات بجوار الأولاد في المدرجات».

الناس اتجننت يا حاج!

(٥)

- إيه ده يا حنان هي مدرسة فريدة بنات بس ؟

- آه يا ستي.. راهبات بنات.

- طب ما هي كده هتتعقد.. لازم تتعامل مع ولاد.

- لا ما تقلقيش هابقى أجيب لها أنا الولاد هههههه..

- ههههههه..

ساقني حظي بدخول ابنتي لمدرسة بنات فقط، لكنني لن أترك أستاذ عبد الواحد بتاع مدرستها يخوفها من الولاد أو يحط مسافة نفسية ومكانية.. هافهمها عشان ما تخافش تتكلم في حصة الأحياء قدّام الولاد.

مؤخرا بدأت أتحاشى الصعود إلى عربات السيدات.. أدخل بكامل قواي العقلية إلى العربات المختلطة - لاحظ أنها ليست عربات للرجال فقط لا يكتب عليها هكذا - .. أصعد ويرمقني كثير من الرجال بفضول خاصة في الأوقات المتأخرة ليلا أو في الزحمة.

لكن سأعترف فقط في محطة مترو الشهداء لا أستقل العربة المختلطة، فاللمس والالتصاق وارد جدًّا، حتى لو كان بدون نية سيئة من الرجال.

محطة مترو الشهداء سميت بهذا الاسم ليس تمجيدا لشهداء ثورة يناير كما يتخيل الساذجون، وإنما لأن كل من يستقل المترو من هذة المحطة فهو شهيد.. فهي إذن محطة الشهداااااء.

ولكنني سأتوقف عن صعود عربات السيدات في محطة الشهداء حينما يتربى الرجال على احترام السيدات، يعني أمممم كمان ٣٠ سنة.. يمكن؟ تفتكروا؟

ربُّوا أولادكم الصبيان على أن جسم البنت له حرمة ويخصها هي، ربُّوا بناتكم على المواجهة، وأنهم أنداد للصبيان وأنهم مش الطرف الأضعف.

أن تعيش في شارع السلام ورا الكنيسة..
أنصار السنة سابقا - فيصل (١)

نشأت وترعرعت في منطقة محترمة بحي الهرم، ثم قضيت مراهقتي في مدينة ٦ أكتوبر.. لم تطأ قدماي حي شعبي كبولاق الدكرور أو ناهيا أو الوراق أو مساكن النهضة.. وكذلك لم أترفع عن اللعب في الشوارع بالتراب وأوراق الشجر مع الفتيات أو البلي ودحرجة فرد الكاوتش القديم مع الصبيان، وملاحقة أمي لي وتنبيهها لي بعدم ممارسته هوايتي في مصاحبة أبناء البوابين تحديدا والذين كانوا يستهوونني للعب، لا أعرف لماذا؟

كنت أعرف في طفولتي أن هناك شارعًا موازيًا للهرم اسمه شارع فيصل، لم أتخيل يوما أنني سأجتاز الضفة الأخرى وأعيش فيه أكثر من ٦ سنوات منذ زواجي.. تحديدا في شارع السلام ورا الكنيسة.

كنت أتخيل فيصل كالهرم فهما متوازيان يبقى أكيد زيّ بعض..

(١)

قل: ورا الجامع، ولا تقل: ورا الكنيسة!

يبدأ الشارع مع انعطافة ما يطلق عليه شارع لحوم الموسكي إلى

اليمين بعد مرورك ببوابة الكنيسة الكبيرة ومع حركة اللف دي لليمين ستجد على شمالك جامع أنصار السنة المحمدية المسمى بالتوحيد بملحقاته الخدمية.. هو شارع يبدو مثالا جيدا للوحدة الوطنية.

ربما تكون ميزة أن يقع على رأس شارع السلام كنيسة كبيرة ككنيسة العذراء والأنبا إبرام، وجامع التوحيد التابع لجمعية أنصار السنة المحمدية، بتوفيرهم خدمات لأبناء المنطقة والشارع، خاصة بالحضانات والأنشطة والمساعدات المادية وتوزيع الطعام على الفقراء، ولكن في الأعياد ستجده عيبا عظيما.. ففي الأعياد المسيحية ينغلق الشارع بحواجز حديدية، مما يعطيني إحساسا أن القنبلة ستنفجر حال مروري وأنا شايلة شنطة الخضار.. «هتنفجر دلوقت.. قدام الباب أهه.. خلاص هتنفجر هنا.. هووف الحمد لله».

أما في العيدين الفطر والأضحى فيستحيل شارع السلام إلى ممر عظيم للنساء المتجهات للصلاة - اتجاه واحد ذهابا والعكس إيابا - في الصوان أمام الجامع وهو للنساء فقط أمّا الشارع الآخر الموازي للسلام فهو ممر للرجال المتجهين للصلاة أيضا.

في عيد السعف أقف لأشتري مشغولات من سعف النخيل، أستدير لأدخل إلى الشارع يرمقني ثلاثة مصلين بجلابيب بيضاء قصيرة وذقون طويلة باشمئزاز.. فيما بعد أتوقف عن دفع الزكاة للجمعية التي تأخذ فلوس الزكاة لإقامة ملحق بالجامع.

لا أفهم حتى الآن لماذا نبني جوامع ومساجد، بينما نحن في حاجة لمدرسة أو عيادات مجانية..؟! القاهرة ذات الألف مئذنية تبحث

عن تبرعات لتشييد مسجد، بينما الآلاف مرميين في الشوارع على الأرصفة ينتظرون العلاج أمام المستشفيات أو يشحذون لقمة.

تسألني فريدة: «هو إيه ده يا ماما؟» أجبها: « دي كنيسة.. بيصلوا فيها لربنا» ترد عليّ: «طب ما تيجي نخش نصلي فيها؟» أرد: «لا ما ينفعش إحنا بنصلي في الجامع.. فيه ناس بتصلي في الجامع زيينا وناس بتصلي في الكنيسة.. بس في الآخر كلنا بنصلي لربنا وكلنا بنحبه»، يسمعنا سائق التوك توك يسألني: «داخلة الشارع الجاي؟» أجبه «آه اللي ورا الكنيسة»، يرد بانفعال: «بس هو اسمه شارع أنصار السنة يا مدااااام»، بينما أصر: «لا هو اسمه شارع السلام وورا الكنيسة».

(٢)

عم حسين أرابيسك

اسمه عم حسين بس لكنني لقبته بهذا الاسم لأنه عامل زي حسن أرابيسك تماما، فهو فنان وبيشتغل بمزاجه.. ألمح شغله أمام ورشة النجارة.. أجدني أمام لوحات فنية بحق.. حجرات سفرة محفور على أطرافها نقوش غير تقليدية، يصنعها هو بيديه بأدواته وليست فورمات جاهزة، يركبها شباك سرير رائع النهايات، أنتريه، يبدو أنه متين.. «التاطش» ما بقاش زيّ زمان لمنتجات يدوية كثيرة، لكن مش عم حسين.

أطلب منه أكثر من مرة أن يصنع لي حجرة نوم أطفال لفريدة.. يأتيني بالكتالوجات أختار ونقرر ثم لا شيء.. فهو مش فاضي الأيام دي أو بعد الشتا هيبقى أحسن .. ثم أن الأيام دي صيام، بصّي خلينا بعد العيد على طول.. لأتأكد تماما أنه أرابيسك « أبو مزاجه».

(٣)

فرن السلام اللي من غير يافطة أصلا

لا توجد لافتة باسم الفرن الموجود في نهاية الشارع، يكتفي فقط أن تنساب رائحة الخبز الدافئة للبيوت عقب صلاة الفجر ليذكر الناس بأهمية شراء العيش..

حتى الآن لا أستطيع أن أستوعب شيئين، أولهما: طيران طائرة عملاقة في الهواء، بالتأكيد دي مش طيارات حقيقية اللي في السما.. بيضحكوا علينا بأشكال ورق، وناس بتقول إنها ركبت الطيارة.. بس أنا مش عبيطة مش هاصدق.

ثانيهما: الراجل اللي بيشيل العيش وهو سايق العجلة.. بحكم تواجدي في شارع نهايته فرن فأنا أقف كل يوم أمام معجزة.. كيف يتحكم بيد واحدة في توزان العجلة وباليد الأخرى بتوازن الأقفاص فوق رأسه، ثم يتلفت في الاتجاهين برقبة قوية متوازنة أيضا ليرقب سير السيارات، ويرفع العجلة على الرصيف بيده ثم ينزلها ويركب مرة أخرى ويستكمل سيره مناديا: «بسسس.. كتفك يا أوستاااذ»؟!.. معجزة كسابقتها الطائرة التي تطير بثقلها بأطنانها في الهواء!

(٤)

زمن اليفط على المحلات انتهى

لم يكن الفرن هو الوحيد في الشارع المحل أو المنفذ الخدمي الذي بلا يافطة، فهناك ورشة نجارة عم حسين بلا اسم، وورشة المنجد

عم يوسف بلا اسم، كذلك ورشة سمكري السيارات، آسف البيت المواجه لي بدون لافتة.. يكتفي الترزي بتعليق لوحة ورق كرتون كتب عليها بخط جيد « ترزي».. وورشة تصليح الموتوسيكلات و«المكن» الصيني، كما كتب عليها بفرشاة بخط ركيك تحولت إلى «رفا عادل وسمك زينة»، فابن صاحب الورشة غير النشاط إلى رفا ووضع الكثير من الأحواض الزجاجية للأسماك والأقفاص لطيور الزينة، مفسرا ذلك لي أثناء سؤالي عن جوز كناريا لفريدة «دي هواية من زمان.. أنا غاوي العسافير والسمك.. لكن شغلانتي الأساسية هي الرفا» هو يرى أنه يجمع بين عمله وهوايته.. حسنا.

يواجه «رفا عادل وسمك زينة» محل كوافير للسيدات ظهر منذ عامين على أول الشارع بموازاة لجمعية أنصار السنة المحمدية، حملت واجهته لافتة كبيرة على غير عادة الشارع «كوافير أختاه للمنتقبات»، هكذا اسمه وهكذا انتقاؤه لزبائنه من المنتقبات، وبالتالي لم أعتِّبه مطلقا، وترددت كثيرا على كوافير «سماح» أشهر كوافير في المنطقة وأغلاهم.. تدخل الواحدة حواجبها بايظة يطلعوها عاملة تاتو حواجب متقن بالهباب، بينما تعتقد الزبونة أنها تمتلك حاجبي نانسي عجرم.. ثم انتقلت لكوافير «شادو» الأكثر تطورا بإدارة بولا المسيحي اللي فاتحه قدام الكنيسة.

في حي فيصل أيضا أسماء غريبة للمحلات، فهناك محل كوافير أخر اسمه «ما شاء الله» لا أجد علاقة منطقية بين الاسم وطبيعة الخدمة التي يقدمها المكان..!

عند نزلة الكوبري ستجد محل ستائر ومفروشات اسمه «ستائر النسيان».

أن تعيش في شارع السلام ورا الكنيسة..
أنصار السنة سابقا - فيصل (٢)

أم هدشـير.. بالشـين، كانت جارتنا في مدينة ٦ أكتوبر قبل زواجي وانتقالـي لفيصل.. كانت سـيدة من حواري مصـر القديمة.. وزيّ كل الستات اللي من المنطقة دي ومن القلعة وشبرا وكل المناطق الشعبية: جدعة ودمها خفيف وبترشـق حرف الشـين في نص كلامها وتمط في مخارج حروف المد بدلع أو بتهديد لو فيه خناقة.

أم هديـر كانـت بالنسـبة لـي ظاهرة غريبـة.. لأنها أول حد أشـوفه بيتكلـم بالطريقة دي.. تعرفنا عليها أو تعرفت هي علينا في أحد أفراح الجيـران، ولأن أمـي جدعة زيها فلازمتها ولازمـت بيتنا مفتوح الباب دائمـا طول النهـار، عرفت نفسـها إلينـا : «صفاء أم هدشـير ومحمت وموصطفـااا ونـورااااه»، أبتسـم وأتابعهـا كأني لقيت لقيَّـة.. أحب أن أنكشـها وأغلـس عليهـا حتـى تنفجـر ببداية خناقـة حتى أتفـرج على تعبيراتهـا وجملها ثم تدرك الفخ الذي أوقعته فيها فتضحك : «ماشـي يا حينااان.. ده أنا من مصر عتشيقة يا بت».

كنت أظن أن أم هدير هي ظاهرة نادرة، إلى أن سكنت فيصل.. وجدت أن هناك الكثيرات من أم هدير.. جدعات دمهن خفيف يهوون الخناقات وينطقن الحروف مثلها.

كنت أظن أني رايحة أسكن في (فيصل هايتس) مثلا.. عبيطة أنا.

(١)

أم عماد ملكة الليل والبلكونات

هي أم هدير أخرى وبشكل أكثر قوة.. تدلع ابنها البكر وتسحق زوجها، تتبادل الشتائم معه أمام الأبناء.. تهينه «يا حمار.. إنت ما بتفهمش أصلا عشان تبقى أب»، أنزعج للخناقات العلنية التي يسمعها ليس فقط الأبناء بل الجيران.

هي لا تعرف أن علم النفس الحديث مشدد على أن الخناقات لا يجب أن تكون أمام الأبناء.. أحاول أن أخبرها أثناء سلامي بخوف منها وهي تنظر من البلكونة فأتراجع.. لو كلمتها على علم النفس هتطلع لي نفس رخيم من مؤخرة أنفها مع الحلق لا داعيَ له.. أتساءل عن طبيعة العلاقة بين الأبناء وأبيهم..؟ لسه كنت باتساءل فأسمع خناقة أخرى بين الولد وأبوه.. يطارد فيها الأب الابن إلى الشارع لاعنا إياه بشتائم لم أكن أتوقع أن أسمعها من أب لابنه.

أم عماد دائما ما تتشاجر مع زوجها ليلا، تزنقه في إحدى المرات في زاوية البلكونة تحاصره بجملها الحادة المهينة، مرة أخرى يطلب منها أن تنزل له التلفون المحمول في السبت، فتلقيه له من ارتفاع

دورين في الشـارع.. تزغر له مـن البلكونة عندما يركن السـيارة لطنط ماجدة المسيحية الحلوة جارتنا «محمااااد اطلع.. لا اطلع حالا».

كل أيام الصيف يجلسون في البلكونة أمام التلفزيون يأكلون بطيخا أو يتعشوا، أسـمع أصوات الملاعق والمحادثات حتى الرابعة فجرا.. يزورهـم ناس كثيرين والصيف بيحب السـهر واللمـة.. يتحادثون في أذنـي.. عايزة أنام ولا أعرف.. أصـب لعناتي عليهم، بينما في الصباح إذا صادفتها أبتسم ملقية تحية الصباح، الإنسان ضعيف.

ابنتهـا (ش) شـبيهه لهـا.. ممتلئـة مليحة الوجه، بضـة ولأول مرة فـي حياتي أرى معنى كلمة بضة متجسـدا أمامي - لـو مش فاهم طلع المعنى من القاموس - تصبغ شـعرها كأي بنت شـعبية قديرة باللقب بالأوكسـجين.. تحـرص علـى إعادة صبـغ الجذور فـي الأعياد حتى لا تضيـع رونقها، يوم خطبتهـا تفتح حجرة الجلـوس مصراعيها على الشـارع يقتحـم صوتهم بيتي، الضحـكات والمجامـلات والكثير من «شـرفتونا يا حبيبتشى» و«شـاهندة دي في عينيا» وتظهر رقة أم شهاب بشكل مثير للريبة بالنسبة لي.

عقـب خـروج الضيوف يقـف أخوها الأصغـر فـي البلكونة يأكل جاتوة مرتدي الفانلة الحمالات وينادي على أطفال الشارع يغيظهم.

بعدها بشـهرين تقريبا تفسخ الخطوبة وتبكي شـاهندة وتقتص لها أم عمـاد فـي خناقات طويلـة في التليفـون، واقفة فـي البلكون لتقض مضاجع نصف شـارع السلام الذي عرف كل تفصيلة في الخطوبة من أول كانوا متفقين على إيه لحد سبب الفسخ.

فـي أحد الأيام أسـمع أم شـهاب تبكي.. تبكي بجـد لا تمثيل ولا استعطاف، فيما بعد أعرف أن هناك مشكلة تتعلق بعماد مع أحد ضباط قسم العمرانية وتم تهريب الولد بعيدا عن الحي حفاظا على مستقبله.

(٢)

الأطفال أحباب الله.. ولكن ليس في شارع السلام

ينتشـر الأطفـال فـي الشـارع يلعبـون بالكـرة يطاردهـم السـكان باللعنات والشتائم والماء المرشوش من أعلى.. مطاردون هم دائما لا يجـدون مكانا يلعبون فيه.. يجلس معظمهم على الأرصفة إن وجدت يحفـرون حفرا صغيرة أعرف بخبرتي القديمة في لعب الشـوارع أنهم سـيلعبون بالبلي بعد شـوية، يتركون فريدة تشـوط الكرة مرة أو مرتين «وقـف اللعبيبب» يطلقونها إذا مر أحدهم من وسـطهم.. ينطلقون من أول الشارع إلى آخره باحثين عن نقطة لا يرش أحدهم عليهم ماء..

أتذكـر أيـام لعبي وأتمنـى أن تلعـب فريدة مثلـي ومثلهـم، ولكن الشوارع لم تعد آمنة زيّ زمان .

يـوم جمعـة أسـمعهم يلعبـون تحـت بيتنـا، وأسـمع طنـط ماجدة تطالبهم أن يلعبوا بعيدا عن السـيارة حتى لا يكسروا زجاجها، يتوقف اللعـب يتناقشـون.. ألقي عليهم بلاليـن منفوخة متبقية مـن حفل عيد ميلاد فريدة وأقف خلف الستارة أستمع لرد فعلهم .

«دي جـت منين ياض»، وآخرصغير السـن «دي شـكلها جاية من السما» أبتسم وتضحك فريدة.

(٣)

ورشة الأخوة الطيبين المزعجين، والميكروفون اللعين

ثلاثة أشقاء يتبادلون الدق على رأسي وليس على جوانب السيارات لإعادة إبراز ملامحها مرة أخرى.. أتنفس الصعداء يوم الأحد والأعياد.. طيبون يفرضون عليك احترامهم، يعرضون المساعدة قبل أن تطلبها، يحتفون بفريدة، يصبون علينا دعواتهم والسؤال على صحتها وتقديم النصح لي إذا قررت النزول بها من البيت.. ولكن الدق يجعلني كثيرا ما أكره السكنى أمامهم، يتحول حواري مع زوجي إلى: «جبت الـ تك تك من السوبر تك تك، وأنت جاي؟»، يرد عليَّ «إيه.. تك تك تكتكتك» أعيد الجملة مرة أخرى بشكل سريع بين الدقات التي تتحول إلى سيمفونية إذا اجتمع الثلاثة للعمل، أصبحت أعرف متى أتحدث ومتى أتوقف بين الدقات.

على ناصية الشارع جامع كبير التابع لأنصار السنة المحمدية، وعلى الرغم من ذلك هناك زاويتان في الشارع تحت البيوت، إحداهما هادئة يصلي فيها الناس بالداخل، مكيفة الهواء، لا تسمع صوت الصلاة فيها إلا وقت الأذان فقط، والأخرى أسفل المنزل المجاور لي يتجه ميكروفونها لي أنا.. نعم لي أنا، يرتكز مكبر الصوت على منشر البلكونة المجاورة تماما لي وأصبح أنا في مواجهة الصوت.. أتحول لحظة الأذان إلى توم وجيري يرتعش أمام الموجات الصوتية لجهاز إستيريو كبير كما كنت أراه في أفلام الكارتون.. وفي ليالي صلوات التراويح، أتمزق من الإزعاج، فهناك صلاة العشاء والتراويح والشفع والوتر، يتخللهم ثلاثة دروس وكلها في مكبر الصوت وكأن هناك

عشرات المصلين في الشارع يفترشون الحصر للاستماع للأمام، صلاة الفجر تقام في الميكروفون أيضا، أول ثلاثة أشهر كانت تستيقظ ابنتي تبكي من الأذان أما الآن بعد أن تعودت على الصوت تسألني أثناء خطبة إحدى الجمع : « ماما.. هو عمو بيزعق ليه؟».

يرفع الأذان أحد كبار السن في المنطقة بصوت أجش وبمخارج ألفاظ غير سليمة، أترحم على سيدنا بلال وأدعو على رافع الأذان في كل مرة.

(٤)

الشقة المسحورة

في الشقة اللي تحتنا سكن الكثير من الأزواج منهم زوجان كانا لا يكفان عن الشجار وطلب الطلاق، لم أكن أستمع لصوت الزوج مطلقا كان يعمل في صمت.. يضرب وتصرخ هي، يصحو الشارع على صوت ترزيع الأبواب، وأتابع أنا بحدسي تسلسل المطاردة أسفل أرضية شقتي وأنا متوترة.. تصب لعناتها عليه وأمنياتها بأن توافيه المنية قريبا، لا يرد بالطبع بل يزداد ضربا لها، والواضح من تزايد صوتها وتطالبه بالطلاق .

يختفيان تماما بعد شهر واحد من السكن ويظهر زوجان آخران لسبب ما يطاردهم مجموعة من الناس ويطالبوهم بفلوس عليهم. يطالبوني أنا أن أفتح لهم باب العمارة حتى يتمكنوا من الصعود إليهم فأرفض في لحظة شجاعة نادرة مني، بعدها بيومين يخبرني أصحاب البيت أنهم استطاعوا الصعود إليهم وكسروا عليهم باب الشقة.

أتيقن تماما من أن البيوت أعتاب وقِرف - بكسر القاف - و أتيقن من أن هذة الشقة لعنة على الأزواج حديثي الزواج، الآن يسكن هذه الشقة بعد شهور من الإغلاق أسرة سودانية طيبة وفوقي أسرة سودانية أخرى تابعة لهم يتبادلون الكلام من المنور وتَتْشَتَم رائحة البخور السوداني الجميلة من مدخل البيت، يهوون الطبخ ليلا ونهارا ، أشم دائما رائحة توابل عتيقة ومركزة تنساب منهم كما تنساب الأغاني السودانية من شباكهم أثناء لمّي للغسيل ويفيض من وجوههم السمراء نور يعوضني التوتر الذي أصابني من هذه الشقة.

(٥)

أمام أحد الإعلانات في التلفزيون عن كومباوند سكني ما تجلس فريدة وتنبهر بأماكن اللعب والجنائن وحمامات السباحة، تسألني ابنتي :

يعني إيه ماونتم فيون ده يا ماما؟

- يعني حتة كده فيه شوارع وبيوت.. بصّي زي فيصل كده

أستدرك في سرِّي : سامحني يارب.

في المصيف: إختتني جوزك وريّحي دماغك

المصيـف يعني بحر ورملـة ناعمة وهوا من اللي بيطيّر الفسـاتين، يعنـي المايوهـات ومـا يسـمى بكرة الشـاطئ والبيـوت اللـي بتتعمل م الرملـة وميـة البحـر، وتقعـدي انتي وهـو تملّسـوا أو -لا مؤاخذة- تحسّسواع المبنى الرملي المتصدع الأركان: «هنا أوضة الولاد.. وهنا أوضتنا.. وهنا بقى هنقعد نتفرج على التلفزيون سوا.. بص، هنا هنعمل لك أوضة مكتب يا حبيبي»، ويبتسم ويشوط طفلٌ ما الكورة في البيت فتزعلي وتشوفي الحب في عيني البيه وهو لابس نضارة شمس أصلًا، بس الوهم حلو، ويقول لك «هاعمل لك غيره في الحقيقة يا روحي».. وتتخيلي البيه ممشوق القوام كأنه نور الشريف وانتِ ناهد الشريف في فيلم من السبعينيات والمايوهات المقلمة ويجري وراكي على البحر والكاميـرا تركز على وشّكم بيقرب من بعض، وهـوووووب تعودي للواقع.. البيه قاعد جنبك مستلقي على كرسـي من بتوع الشـط تحت الشمسـية وماسـك موبايله وعمّال يتوّت عن البحـر والجمال والمزز اللي بيشوفها.. متناسيًا كرشه اللي قاعد قدامه كجزء أصيل منه وبيشوه المنظر حواليه، ونور الشريف يطلع يجري من دماغك.. ويبدأ دماغك في تحميل صورة صلاح منصور بالمايوه.

البيه بيفضل قاعد وقاعد ويقعد تاني ويقوم يعدل الشمسية حسب حركة الشمس على مرّ اليوم، ويقعد تاني ويقضي المصيف في النوم والهرش ف رأسه والنوم ثم يعود مرة أخرى للنوم.. ويظل يحلم بناهد الشريف وميرفت أمين وصفية العمري والحاجة شمس البارودي، متناسيًا كرشه وكسله وتويتاته.

من أول خروجكم من البيت وهو متعصب.. مُجبَر على الأجازة كأنهم هياخدوه يعملوا له عملية ختان.. بالطبع كان يفضل الإجازة بعيدا عن الولاد ومراقبتك له، كان يفضلها مع شلّة الهلس بتاعته اللي ملموم عليهم ليل نهار إلهي ما يبارك لهم، يحول الشنط للتاكسي: «إيه اللي انتي جايباه ده يا نهى؟ كل ده؟ طب حطيتي ليّ شرابات وبوكسرات زيادة؟»، ما تعرفيش هيعوز الشرابات في إيه أصلًا؟ يعترض على شنطة العصائر والمية والساندوتشات: «يا ستي كنا اشترينا من أي مكان واحنا في موقف الأوتوبيسات أو في الرست»، وأول ما يجوع ويلاقي أسعار الحاجات غالية بمناسبة المصايف بقى وكل عام وأنتم بخير يا بيه.. تلاقيه رجع مطأطأ الرأس متفادي النظر لعينيكي: «فيه ساندوتشات إيه؟ كفتة؟ هاااايل! هاتي اتنين وعلبة عصير»، وعندما توصلوا الفندق يجري ينام شوية عشان يريّح من الطريق وبعدين ياكل.. طب فيه رحلة بحرية ساعتين في البحر، «خدي الولاد وروحي انتِ».

يقعد على الشط يبحث بعينيه عن فريسة، قصدي مزة، أيّ حاجة بمايوه، ويا ريت لو قطعتين، وانتِ آخرك المايوه الشرعي اللي بيحوّلك لما يُشبِه كلب البحر أو الضفادع البشرية.. وانتِ أصلا

ما بتعرفيش تعومي.. تقريبًا الجيل بتاعنا مش بيعرف يعوم، يا اتعلمه على كبر.. وتسأليه: «بتعرف تعوم»، «آه طبعًا.. باعرف»، تقولي له: «طب يلّا، مش هتنزل تعوم؟»، «لا.. كمان شوية كده.. لما الشمس تهدا»، خايف على بشرته!

يتبخر من دماغك أي مشهد عاطفي أو لحظة رومانسية شوفتيها في فيلم.. تحلمي بـ«تايتانيك» و«شاطئ الغرام» فتلاقي نفسك لبستي في فيلم كوميدي كوميديا سوداء على غرار «إحنا بتوع المصيف».. استغراقك في الأفلام هيوديكي ف داهية، فوقي، لَمّا تكوني من هواة الأفلام العربي أو متأثرة حتى بفيلمين تلاتة وبعدد واحد مسلسل، أكيد هيلزق في دماغك حاجات بتشكل أحلامك كفتاة في زوج المستقبل، وأكيد هتتصدمي لما تتجوزي.. فمن أول الخطوبة وقربتي على الفنيش النهائي للجواز ما تحاوليش تتفرجي على المسلسلات التركي عشان مش هتتصدمي وبس.. هتتشلّي يا أوختي.

من أهم الحاجات دي مشاهد الخطوبة والاتنين بيشربوا بعض الشربات أو العصير الملوّن.. غالبًا لونه تريكيواز بعد تلبيس الشبكة.. أنا شخصيًّا طلبوا مني أعمل كده بس مارضيتش، وبتاع البوفية كان شايف إني ارتكبت خطيئة في عُرف الكون، وخطوبتي كده باطلة. كمان مشهد شادية تقول لعماد حمدي إنها حامل في كذا فيلم أو لشكري سرحان، أيّ واحد فيهم، المهم البطل بيقوم جاي شايلها ويلفّ بيها لفة أرضية كاملة، وشادية تضحك وتقول له: «بالراحة، البيبي» يقوم يقول لها: «من النهاردة راحة كاملة، كل طلباتك أنا اللي هاعملها، وماتتحركيش م السرير يا روحي».. أحَّا! مابيحصلش الكلام

ده أصلًا، أنا لما قلت لجوزي إني حامل بَصّ لي بربع ابتسامة وقال لي «مبروك»، وهز دماغه وراح قعد قدام التلفزيون، وبعدها بشوية قمت جبت أكل ولا حتى عمل زيّ البطل اللي بيتفاجئ ويقولها: «حامل؟! الجنين ده لازم ينزل»، وتقريبا شادية كان ليها تجربة مختلفة مع يحيى شاهين لما كان ما بيخلّفش وقالت له إنها حامل، فراح قال لها: «انتِ طالق يا رباب».. «أنا ما باخلّفش يا هانم.. برااااه».

جوزي ماعملش أيّ حاجة من دول.. وبالسؤال في الأوساط المحيطة من الجيران سواء المثقفين أو الشعبيين أو الليبراليين أو حتى المتدينين، ما بيحصلش أيّ حاجة من دول، ولا بأيّ شكل من أشكاله وطرقه في توصيل حتة من المشهد.. مشهد آخر شهير بتاع الصباحية عندما يذهب الزوج ضارب البيجامة السَّتَان ويأتي العروسة بإفطار أهم ما فيه عنقود العنب ويبدأ يصحّيها ويأكّلها العنب بالواحدة لا مؤاخذة وهي تدلّع وتقول له: «مش كنت صحيتني أعمل لك الفطار؟» أحَّا! يا جدعان.. لا يحدث يا بنات، حقيقة علمية والله.. أنا صحيت بدري يومها وفضلت في السرير عاملة نفسي نايمة عشان يصحيني، طلع برة، مااااشي، هنقول إنه مش عاوز يقلقني، أقوم أصحى وأروح أشوفه وأصبّح عليه ألاقيه نزل اشترى الجرايد وبيقراها؟! لا بقى.. شكلي وحش، بجدّ شكلي وحش.. ماحدش يقول لي نصيبك كده.. خالص، نيفر، اسألوا كل اللي اتجوزوا في محيط أسرتكم وصاحباتكم حالًا هيأكدوا كلامي.. وزي ما الرجالة بيقولوا لبعض «الحب حاجة والجواز حاجة»، فأحب أقولكم «الجواز حاجة والأفلام حاجة تانية».

فن اختيار الهدايا الذي لا يتقنه الرجال

في فيلم «بلبل حيران» لا مؤاخذة الأمورة شيري قالت كلمة عبقرية لـم يلتفت لهـا أي رجل أو شـاب أو صبي ومش هيلتفتوا. البرنسيسـة قالـت : «فن اختيار الهدايـا».. وأحب أقول إننا كبنـات نتقن هذا الفن بـل ونضيف إليـه ونطور منه.. ومحـلات الهدايا بتتعلـم مننا وتحاول دائما جاهدة مسـايرة طلباتنا وإضافاتنا.. يجب ألا ننسى الفيونكة اللي كانوا بيعملوها مخصوص عشـاننا وبتتحط على جنب الهدية، وبدءوا بالفعـل بتصنيـع فيونكات جاهـزة تلصق فورا بدلا مـن طلعان عين أم الراجل وهو بيحاول السـيطرة على تقوسـات وتمددات شريط الهدايا أمـام إصرار الواحدة مننا على صنع هذة الفيونكة.. أما شرشـرة الجزء الأخيـر في الجزء المتدلي من شـريطة الفيونكـة بأحد طرفي المقص وعمـل اللولـوة اللازمـة، فكان الانقـلاب الأهـم والثـورة العظيمة في عالم لف الهدايا.

فيـه تيمـات للهدايـا ثابته عندكـم : يا رجالـة يعني .. لـو مكتئبة أو عاوز تصالحها = شيكولاتة .. مخنوقة من أمك = شيكولاطة بالبندق

ووردة (يلاحظ أن الورد دائما ما يكون أحمر ما فيش أي إبداعية في الاختيار.. هو كده أحمر ده غير أن أوبشن الورد ده شغال أيام الارتباط الأولى فقط)، لو قربتوا تتجوزوا بقى = مكوى أو خلاط أو لحاف فايبر اللي هي بتبقى عليه ضمن الاتفاق أصلا بتاع الجواز، بس حضرتك بتستهبل وبتعملها هدية من عندك، وأنك بقى حد عملي ولازم نفكر في بيتنا يا روحي وكله عشان راحتك.. وأمها تبقى ناصحة وتقوم كتباها عليك في القايمة.. ضحكات شريرة متصلة .

أما إذا كانت زميلة في العمل وولدت أو هتتجوز فالموضوع سهل بتدوروا على واحدة زميلة كبيرة في السن والمقام ويقولوا لها «نلم من بعض فلوس.. نقطة يعني»، وتدوها كل واحد ٢٠ جنيه واقلب. ليس هناك أروَق من أدمغتهم ما شاء الله.

يأتي الزواج وتتحول الهدية لأمر منسي أمام طلبات البيت والأولاد ودخلة المدارس أهم وهدوم الصيف وبوكسراتك - أهم حاجة بوكسرات أمك-.. تتحول الهدية بتاعتها هي خصيصا لعبء مادي وفكري في الأساس، يعني لو افتكرت وقلت كل سنة وانتِ طيبة هتزغرد، ولو جاب لها شيكولاطة هتقعدي طول الليل تعيّطي من الفرحة، ولو كتبت ع الفيسبوك إنه جاب لها شيكولاطة هتتلقى التهاني من البنات كأنها جابت طقم بورسلاين بلجيكي وسط حسد الكثيرات.. وتاكل منها حتة حتة وتشيلي الورقة بتاعتها لما تخلص.

عيد ميلادك.. هو الحدث الأعظم في تاريخ البشرية سيظل أداؤنا - كبنات - ثابتا سواء أيام الارتباط - و هي ماشية معاك

يعنـي - أو في الخطوبة لو ربنا هـداك ورحت خطبتها وبعد الجواز لو فضلتوا صامدين لبعض..

أحـب أعرفك عزيزي الرجل الخنيق أننـا بقى كبنات نقوم بالتالي: قبل يوم الصفْر بشـهر تفضل تاخد بالها من تفاصيل كلامك.. لو قلت وسـط الكلام إنـك بتدور علـى كتاب معيـن ومش لاقيه.. أو نفسـك تتفـرج على فيلم معين نزل في أمريكا وهينزل كمان شـوية في مصر.. أو لو عاوز تجيب شرابات وفانلات.. ولو صادف وما قولتش بتشوف إنـت بتحب إيه عامة وتاخد رأي صاحباتها وتختار واحدة منهن تكون حَمولـة كده وناصحة في الشـرا وعارفـة أماكن بيتباع فيهـا الحاجات بسـعر حلـو.. م الآخـر كل شـلة بنـات بيبقى فيهـا البنـت دي «البنت الشـاطرة فـي التسـوق» تلاقيها تـروح قايله لهـا: «لا المحـل ده غالي أنا شـوفت ولاعة تجنن عند واحد تاني تعالـي معايا بس»، وينطوا في تاكسـي أو ميكروباص حتى عشان تلحق تنجز في الوقت «لسه هنلف كتيـر يـا بنتي»، ممكن كمـان بكل جدعنـة تلاقيها قالـت: «الكتاب ده غالي هنا عند عمربوك ستور هيبقى أرخص شوية أو الراجل بتاع تنمية عارفني وبيعمل لي تخفيض».

بجانـب اختيارهـا لبنـت من نوع تانـي تبقى معاها في رحلة الشِّـرا وهي «البنت الخبرة الشـاطرة في فهم سيكولوجية الراجل واحتياجاته ومعرفـة كل أدمغتهم وطريقة لبس وتفكير كل واحد، ومدى اسـتقباله للهديـة وبتبقى عارفة رد فعله هيكون إيه بالظبـط»، لأنها بتبقى عارفاه عـن طريـق حكْيك عنـه، أو هو صديق مشـترك أو زميل في الشـغل.. حتـى أن بعضهن يصل بهم الأمـر عند إصرارك على هدية إلى مرحلة:

«لـو عـاوزة تجيبيها هاتيها بس مـش هتعجبه قوي» أو «لـو جبتيها هي حلـوة.. بس مـش وااو.. إنتِ حـرة» .... طبعا مش كل البنات بتاخـد معاها حد فيه البنات البائسـات.. ينزلن وحدهن.. يتخبطن في الاختيارات.. يدخلن كذا محل منفردات.. يتمشـين في شارع شهاب وحيـدات أو فـي وسـط البلد.. أو فـي يتخبطـن بين مكتبتـي مدبولي والشـروق وتنميـة، وبيـن محـلات الفضـة.. يجلسـن علـى المقاهي وحيـدات يفرزن الاختيارات مرة ومرة أخرى يرشـفن آخر شـفطة من كوب الشـاي يحاسـبن صبي المقهى ويشـددن الرحيل إلـى الاختيار ويتوكلن على الله.

مرحلـة الاختيـار العصيبـة تمـر وتأتي مرحلـة اللفة.. أهـم حاجة تعرفهـا الفتـاة كقاعدة ذهبيـة هي اللفة.. البريزنتيشـن.. فيه في شـنطة أو فـي ورق هدايـا وفيـه نـوع بيلف وفـي شـنطة برضة فيه نـوع تالت بقـى بيلف وفي علبة وفي شـنطة وبيـرش جليتور.. أمـا النوع الأروَق منـا المتسـلطن الدماغ بيحـط في العلبـة القصاقيص اللـي بتلمع دي ومن ورق الكوريشـة وترش بارفان.. أنا شـخصيا باتفشـخ من الدماغ دي! - الله يا بنتي ع الروقان - ده غير مرحلة مفاجأتك بيها أنها ممكن تحطهـا لك على مكتبك ولما ترجع من الحمام هتلاقيها.. لا أسـتبعد أن تتوصل إحدانا أن تضع لك الهدية على باب حجرتك، وأول ما تُزق الباب تقع على راسـك وتسمع تسـجيل صوتي ليها «سيربراااايز.. كل سنة وانت طيب يا توتو».

عرفتوا بقى يا بهوات إحنا بنعمل إيه عشـان تفرحوا عشـان نقولكم إننـا مهتميـن بيكم؟ بينما أنتـم الموضوع لا يتعدى « هاتلهـا يا عم أيّ

دبدوب البنات بيحبوا الحاجات التافهة دي.. بتاع أحمر كده من أبو ٧ ونص واقلب وكبر دماغك.

ما بين حبّيبة عكاشة المعقدين نفسيا وحبّيبة حامد الفقراء.. مقارنة لابد منها.

بعيدا عن النمطية.. ابتدع اثنان من عمالقة السيناريو في مصر حبّيبة من نوع خاص بهم، بعيدا عن كلاشيه الحب بين الغني والفقيرة وبين الأميرة وابن الجنايني اللى بقى ظابط في أفلام الستينيات، وبعيدا عن حب المصالح والذي ينتصر في حواديته الحب قليلا.. قدم لنا أسامة أنور عكاشة ووحيد حامد نماذج مختلفة لعلاقة الحب وشخصيات الولد والبنت اللي بيحبوا بعض.. عكاشة قدم حبيباته مختلفات ورسمهن بعمق، بينما الحبيب دائما يبحث عن ذاته من خلال العلاقة، حامد جعل الحب صراعا بين كل ثنائي وبين الظروف الاقتصادية المحيطة به.. حبّيبة عكاشة مرضى نفسيين يخضعهم لجراحة حوارية وحبّيبة حامد فقراء يقاتلوا الحياة القاسية.

لنبدأ بثنائيات عكاشة..

في مسلسل «الحب وأشياء أخرى» هند وسامح، الطبيبة الغنية ابنه الدكتور الرأسمالي الذي يجعل من مستشفاه «بيزنس» ومن المرضى « زبائن» وهو مدرس الموسيقى بمعهد الفنون وبمدرسة بنات.. في أولى الحلقات يتحديان أهله وأهلها في أن يتزوجا وينجحا في إتمام ارتباطهم رسميا يصطدمان - ظاهريا - بفروق مادية بينهم.. ما بين دخلها المادي المرتفع من عملها بمستشفى والدها الاستثماري ودخله البسيط من عمله كمدرس مزيكا.. يتشاجران ويشعر هو بأنها

تصر على جرح مشاعره عندما تذكر أن لديه عقدة نقص.. بينما في الحقيقة هي أيضا تنزعج من تسلطه كرجل شرقي، هي أيضا تشعر بعقدة الحريم.. في الحقيقة ينفصلان بعد محاولات عديدة لتجاوز خلافاتهم.. «يرمي عليها اليمين» في المحكمة في أول جلسة بعدما يدرك أن التكافؤ بين الطرفين ليس فقط تكافؤ مادي أو اجتماعي وإنما كما قالت له: «التكافؤ في ثقتك بنفسك قدام ثقتي بنفسي يا سامح».. ينصحه صديقه عزت وهو يودعه في المطار إلى باريس: «أنا قلت لك قبل كده إن الحب لوحده مش كفاية.. بس نكمله مش نقضي عليه».. بينما يصر الأسطى فرج « زوج أخته اللي مربيه» إنه لم ينس حبه لهند ويواجهه قائلا في جملة حوارية رائعة لعكاشة : « شوف يا سامح اللي زيينا اللي طالعين من قلب ٧٠٠٠ سنة اتعجنت بالتراب وعرق الصنعة وميه نيل روت مليون زرعة ما فيش حاجة بتموت جواهم.. لا الحب بيموت بالفراق ولا الفرح يموت بالحزن، إحنا أسطوات صنايعية تقييف وما عندناش حاجة بنرميها وما عندناش حاجة بتنتهي.. كله بيعيش جوانا».

في نفس المسلسل وعلى هامش حدوتة سامح وهند هنلاقي كلكيعة نفسية أخرى يقدم من خلالها الحل لمشكلة سامح وهند وهما ثنائي رأفت ودلال اللذان أحبا بعضهما، ولكن يصر رأفت على أن تتغير دلال وتغير من أسلوب حياتها لتتواءم مع شخصيته الصعيدية قبل أن يتزوجا.. ويصر «مش بالوعد هنتغير.. لازم تتغيري الأول» ليقدم لنا عكاشة نموذجين يشرحان أن الحب وحده لا يكفي، بل يلزمه التفاهم والتوافق النفسي وأشياء أخرى.

في مسلسل «الراية البيضا» أمل وهشام.. أمل الصحفية المجروحة من زواج فاشـل تعود للإسكندرية تجد حلاوة في مناكفة هشام الفنان الرسـام.. أحلى المشـاهد التي يتقاطعان فيها بحوارهمـا يقلبان أفكار بعضهمـا البعـض.. حدوتة حب بين واحدة تقسـم للآخـر أن جرحها لـن يلتئـم ويقابلهـا هـو بـكل إصـرار ومحايلـة.. ومطـاردة.. لا تجد كلمـة حب في الحوار، ولكن وسـط خناقاتهم وصدامهم سـتعرف أن «دي حـركات» وأن «مناكفـة الحبيب زيّ أكل الزبيـب»، وأن كل هذه المشادات دليل على الحب قطعا، جلسات علاج نفسي تخضع لها من قبل هشام، محاولته أن يجد نفسه ويحقق طموحه هي تقريبا نفس ثيمة سامح المزيكاتي الذي يجعله قربه من أمل / هند يحاسب نفسه» ماذا فعـل لفنه؟ أين طموحه؟» .. ينتهي المسلسـل وهما متشـابكا الأيدي أمـام «لودر» الجهل التابع لفضـة المعداوي.. يقرران أن مصيرهـم في مواجهـة القبح سيسـتمر ويتركنا – نحن جيل الثمانينيات – متشـوقين لمعرفة نهاية حدوتهم.

في «ليالي الحلمية» علي وزهرة.. هذا الثنائي يعتبر الزغلول الكبير بيـن كل ثنائيـات أسـامة أنور عكاشـة والـذي «مرمطنا» نفسـيا معاهم طـوال أربعـة أجزاء قبـل أن يتزوجا في الجـزء الرابع، وقبـل أن نلتقط أنفاسـنا فرحين باكتمال قصة حبهم أخيرا يطلّق علي زهرة بسـبب «أنه مش ناسي»، لم ينسَ كل خلافاتهم السابقة وتخلي زهرة عنه وزواجها العرفي ثم الرسمي وسفرها للخارج أثناء فترة اعتقاله.. لم ينسَ ليثبت عكاشـة أن جميع الأحبة يتقنـون فن البحث عن الخـلاف بمنكاش.. طمـوح زهرة أمـام رومانسـية علي الزائـدة.. ثقتها بنفسـها وبموهبتها

فـي عالـم الصحافـة موجة تجذبهـا بعيدا عن علـي الذي ينهار نفسـيًّا عقـب تركها له ودخوله المعتقل ليخـرج علي جديدا - ظاهريا - علي الرأسمالي الذي يدير مجموعة البدري ببراعة لم يتوقعها أحد.. يتزوج من شـيرين شبيهة زهرة في الطموح والموهبة، لكنها تتجاوز خلافاتها معـه وتتزوجـه.. يعود لزهرة ويطلقها بعد أن يدرك أن لا شـيء يموت وأن الغفـران ليس موجودا في الحقيقة، أو على الأقل فهو لم يسـتطع أن ينسى جراحه ويستمتع بحبها له وبحبه هو أيضا لها..

مجدي ونجوى.. في «رحلة السيد أبو العلا البشـري»، نجوى هي نفس ثيمة أمل ولكنها ومع آخر حلقات المسلسل الـ ١٥ في الجزء الأول تترك مجـدي ولا ترضى بمصالحته لها واعترافـه بخطئه وجرحه لها.. هـي مطلقة غارقة في حزنهـا تنجذب له حقـا، ولكنه - باعترافه - فاقد للثقـة بنفسـه وهو ما يعنـي لها عدم الأمـان.. حواراتهـم تحلل كل من الآخر نفسـيا بمهـارة، ذكاء وهدوء مـن نجوى يقابلهـا عصبية واندفاع من مجدي، يطاردها إلى فرنسا آملا أن تتزوجه لكنها ترفض مدركة أن مجدي لم يتغير وأن زواجهما سـيكون عمره قصيرا.. تخبره أن قراراته السـريعة سـتذهب سريعا وما سـيتبقى هو عدم الثقة.. ينهار ويندفع في عصبية تفقده فرصته البائسة الأخيرة في اكتماله بها..

عن رواية «منخفض الهند الموسمي» كتب سيناريو مسلسل «موجة حارة» وبرزت شـخصيتان اثنتـان حبّيبة أخريان ينضمان إلى آخر صف أحبة عكاشـة المرضى نفسيين، أو لنكن أكثر دقة أحبته غير التقليديين، سـيد وشاهندة كسابقيهم سـامح وهند يبحثان عن الراحة لدى الآخر.. يحققان النهاية السـعيدة بزواج الفتاة الغنية من الشـاب الفقير في أفلام

السيتينيات، ويستكمل القصة معهم الراحل أنور عكاشة بعد نزول كلمة النهاية.. ليتساءل معنا «هل ينجح زواج الغني بالفقيرة حقا كما رأيناه في عشرات الأفلام المصرية؟»، سيد وشاهندة يعاني كل منها وسط أجواء حارة خانقة صفراء الإضاءة.. يختنق معها من شكه فيها وفي سلوكها لمجرد أن تربيتها مختلفة عنه، فهي ابنة لأم لا تجد مانعا من أن تعرض ابنتها كسلعة لمن يدفع أكثر بزواج صوري لن يدوم.. تهرب إليه تبحث عن الأمان تجده فاقد الثقة بنفسه ككل رجال عكاشة.. تتزوجه ويتغير هو مع مرور الوقت يبتعد عنها.. ينتهي الكلام بينهما.. يكتم شكوكه وشكواه.. يندفع كالمجنون ناحية ملابسها المعلقة في الدولاب مشيرا لفستان كانت ترتديه أثناء ركوبها السيارة مع غيره يتشاجران.. تجرحه في رأسه، صباحا يتجه نحوها في المطبخ يضمها إليه.. لكن حبها لا يكفي.. في نهاية المسلسل ينتهي شكه تماما عندما يسأل وتجيبه بدلا من كتمانه الوجع، يطمئن وتعود ثقته بها وبنفسه فتطمئن إليه وتصرف نظرها عن الطلاق.. بعد أن تعرف ويعرف هو أيضا أن الحب وحده لا يكفي، ويحققان ما قاله عزت صديق سامح « الحب آه مش كفاية، بس نكمله مش نقضي عليه».

أما عن وحيد حامد وثنائياته فهي في معظمها صراع ليس بداخلها وإنما حولها.. بينهما وبين المجتمع أو قوة أو سلطة سياسية، يبتعد حامد عن العقد النفسية ويتجه لواقع آخر مختلف.. حرب مع الفقر والجهل وغشومية السلطة / حكومة، ربّ عمل، شرطة، رجال أعمال فاسدون وخلافه.

هاني وأمل في «الإنسان يعيش مرة واحدة» يتجهان مع حامد بعيدا عن القاهرة، يشفى هو من حبه للقمار ويلجأ إليها ليجد سلامه النفسي

بعيدا عن شلة السوء التي وجد مثلها أيضا، ولكنه بوجود أمل تسكن نفسه ويحارب معها شر زميلها الطبيب المتحرش الجنسي، يحبها هاني ويحترمها كامرأة.. لا يستغلها عاطفيا في وقتٍ كانت فيه «صِيدة» سهلة، طبيبة تفقد خطيبها في حادث جاهزة تماما للكلام العاطفي.. هي ليست ساذجة ولكنها أحبته وهو لحسن الحظ طيب أو اكتشف أنه طيب معها.. كان يظن أنه فاسد وأحمق بتصرفاته ولعبه القمار، ولكنه بعيدا عن دوشة القاهرة ظهرت نفسه وتجلى نقاؤه وحارب معها الفساد الصغير الذي وجده هناك.. هما ثنائي كانا في رحلة استشفاء وبحث عن الراحة ووجدا الحب.

في «البشاير» أبو المعاطي شمروخ وسلوى نصار، استكمل حامد بهما مفهوم الاستجمام والهدوء.. جعل سلوى النجمة السينمائية بمصادفة ما أن تجد نفسها في وسط أسرة لا تعرف طريقا للسينما ولا حتى للتلفزيون.. تجلس بينهم بلا مكياج يحبها أبو المعاطي والذي لحسن الحظ لا يعرفها فهو «أصلا ما عرفش إسماعيل يس أما شافه في تلفزيون القهوة»، تجد سلوى أو حِينان - بكسر الحاء - كما أحب أبو المعاطي أن يناديها تجد شفاءها من إدمانها للمخدرات، كما يتعلم هو أيضا منها السواقة.. نجمة مشهورة تحب فلاح، أحبها بدون بودرة الوجه، تحارب معه الغجر المأجورين من رجال الأعمال الذين يريدون الاستيلاء على أرضه، وينجحان تماما في الشفاء ودروس السواقة وطرد الغجر من الأرض.

غادة ويوسف المنسي في «المنسي» يحاربان أسعد ياقوت رجل الأعمال والحكومة كلها، حيث إن الحكومة «تقريبا كلها معزومة

عنده» في حفله الذي تغادره غادة وتذهب لتحتمي في كشك التحويلة الذي يعمل به منسـي.. يسـاعدها ويحبها ويحميها، وحين يجد نفسـه فـي مواجهـة ياقوت برجالـه وبلطجيته، يجـد حمايته بيـن الناس، في رمزية من حامد لكون الشعب أو الجماهير أقوى من الفساد.

ضل حيطة

على عكس محمود درويش، أنا لا أحن إلى خبز أمي.. فعندما أتذكر أيامي مع أمي فلا أتذكر العيش اللي كانت بتخليني أعجنهولها صاغرة، ولا ريحته الجميلة وهو طالع من الفرن.. أنا فقط أتذكر حاجتين: ثقتها فيّ، وده اللي خلاني جدعة في الحياة وبعرف أتحمل المسئولية، وأنواع العقاب المختلفة الألوان بدءًا من الرمي بالأطباق أو الأزايز (اللي كان بيبيجي في إيدها- الله يمسيها بالخير)، انتهاءً بالشباشب الطائرة.. لذا أنا أحن إلى شبشب أمي.

في مجموعة من المقالات القصصية تمتاز بأسلوبها الساخر اللاذع والنظرة الثاقبة لطبقات متراكمة من الأفكار السائدة في مجتمعنا، تعبر حنان الجوهري عن حالها وتنقل واقع العلاقات والأمومة وتحديات يومية تعيشها وتلاحظها بوصفها كاتبة صحفية وامرأة وزوجة وأمًّا.



حنان الجوهري: صحفية وكاتبة تخرجت

جامعة ٦ أكتوبر عام ٢٠٠٢، وعملت فى جري

الإصدار الثاني في صفحة «ضربة شمس» منذ ب

أشرفت على صفحة «حب البنات» في جريدة «الدستور» والتي ك

أسبوع وتهتم بمشاكل وأزمات البنات العاطفية. كذلك عملت في

لفترة صحفية في قسم التحقيقات، وتكتب الآن في عدد من المواقع

«كسرة» و«نون».



دار الشروق
www.shorouk.com